د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

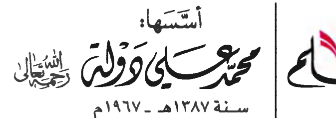


كثيرة هي المواليد في حياتنا، غير أن **ميلاد الفأل والأمل** في قلبك ومشاعرك هو أكثرها عمقاً وأثراً في مستقبل أيامك.




ميلاد فجر





الطبعة الثانية

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة

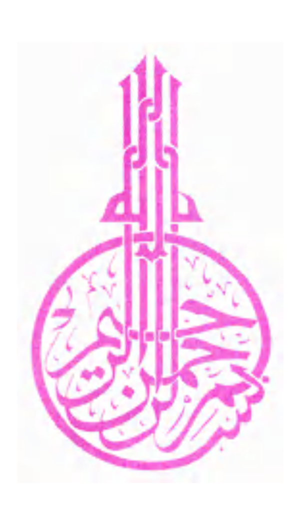
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

د. مشعل عبد العزيز الفلاحي



كثيرة هي المواليد في حياتنا، غير أن **ميلاد الفأل والأمل** في قلبك ومشـاعرك هو أكثرها عمقاً وأثراً في مستقبل أيامك.




بسم الله الرحمن الرحيم



الـمـقـدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

- **نافذة من الفأل على قلبك ومشاعرك** كافية أن تذيقك النعيم ما بقي من عمرك، وبابٌ من الأمل سيروي عطشك مدى الدهر، وأحسب أنني في هذا الكتاب فتحت لك آفاقاً على الربيع أرجو ألا يجفَّ مـاؤه، ولا تذبل خضرته، ولا تتسلل الصحراء إلى مساحته مدى الحياة.

- **وهذه الوهلة لم أتكلّف لك في شيء، وإنما أعدت لك قراءة الوحي** (كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيه ﷺ) بصورة جديدة! وحاولت جاهداً أن أريـك الحياة من وجه آخر.. وأعدك إن شـاء الله تعالى أنك لن تقرأ في فصول هـذا الكتاب حرفاً مفصولاً عن مشاعرك ووجدانك، وستجد فيه كل شيء.

• **ما ســـتجده في هذا الكتاب هو وعد ربك، وحديث نبيـــك ﷺ، وتجربة حيـــة واقعية هي فرع عـــن أصلها من** الوحي كشواهد فقط على فاعلية النص وواقعيته.. وقد قلت وما زلـــت أردد: **إن هـــذا الوحي لـــم يُقرأ قـــراءة وجدانية مشـــاعرية في واقع كثيرين، وإن الأمة أفراداً وجماعات لو عادوا إلـــى النَّص الشـــرعي ومنحـــوه قلوبهـــم وعقولهم ومشاعرهم؛ لارتووا منه حتى النهاية.**

المؤلف

د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

بلاد الحرمين، القنفذة، حلي

Mashal001@hotmail. com



متفائلٌ أبداً أنا ... إنْ كانَ هَمّاً أو هَنَا
ألقَى حياتي باسِماً ... ما دامَ رُوحي مُؤمنا
ربِّي الذي قدَّسْتُه ... بَرَأَ الحياةَ وسَيَّرا
يعطي ويمنعُ فَضْلَهُ ... بِعَطائِهِ غَمَرَ الوَرَى
في الكونِ أجْرَى عَدْلَهُ ... فيما قَضاه وقَدَّرا
متفائلٌ مهما الدُّجى ... فينا أقامَ وخَيَّما
فالحُرُّ يَلْقَى مَخْرَجاً ... إنْ دقَّ أبوابَ السَّما
لا يأسَ في قلبِ امرئٍ ... باللهِ آمنَ واحْتَمَى
وأراهُ أقْوى مَلْجَأً ... في الحادِثاتِ وأرْحَما

* * *



قصة الإناء المكسور

• كان لرجل إناءان كبيران ينقل بهمـا الماء من مكان لآخر، وكان أحد الإناءين مكسوراً، وكان يصل في كل مرة إلى مكانه بإناء ممتلـئ، وآخر ذهب نصفه فـي الطريق، واستمرت تلك الحال على ما هي عليه، وكان ذلك الرجل يجد أسًـى في قلبه على هـدر الماء من إنائه المكسـور، وضياع جهده في كل مرة! وبعـد انتهاء تلك المهمة تفاجأ الرجل بخضرة الأرض، والزهور تملأ تلك المساحات التي كان يذهب فيها الماء!..

وهذه القصة درس: **ألَّا تذهب حياتنا في الشكوى، وألَّا تضيع في النظر إلى ظروفنا البائسة**، وألَّا نظلّ نحاصرها في الأماكن المؤلمة، والمساحات الضيقة، **وعلينا أن نلتفت في كلِّ مرة إلى مساحات الفأل التي يمكن أن نستلَّها من تلك الظروف المؤلمة التي نعيشها في واقعنا يوماً ما.**

• ظروفك التي تمرُّ بـك، وأوجاعك التـي تُجهدك، وأمراضك التي تحاصرك كإنائك المشروخ تحدث لك ألماً،

وتثير لديك قلقاً، ولكنها في النهاية تعيدك سالماً من الذنوب، عارياً من كل خطيئة، قال ﷺ: «**ولا يزال البلاء بالمؤمن حتَّى يلقى الله وما عليه خطيئة**».

البلوى التي تحاصرك، والمصائب التي تعرض لك تمسح أخطاءك، وتغفر ذنوبك، وتجعلك طاهراً من كل شيء، قال ﷺ: «**ما يصيب المسلمَ من همٍّ ولا نصب ولا وصب حتَّى الشوكة يشاكها؛ إلَّا كفَّر اللهُ بها من خطاياه**».

- **من الفأل أن تجعلَ مقابل كلِّ عثرة خطوةً للفأل، ومع كل خطأ تقع فيه مساحة للتصحيح، وألا تحمِّل قلبك ومشاعرك هموم الأخطاء التي تواجهها، والأحداث التي تقع فيها، والمصائب التي تلقاها في عرض الطريق.**

تعلَّمْ في كلِّ مرة أن الصواب لا يأتي إلَّا بعد الخطأ، وبعد الفشل المتكرر تأتي مباهج النجاح، ووراء كلِّ مشكلةٍ فرجٌ، وخلف كلِّ مصيبة فألٌ، وعقب كلِّ موقفِ ندمٍ وحسرةٍ مواقفُ فرحٍ ومشاعرُ شوقٍ.

لا تبتئس من تعثُّر مشروعك، ولا تقف حزيناً أمام مصائبك، ولا تجزع من حوادث الزمان.. تفاءلْ بكلِّ ما يحدث لك، واستقبل مواقفها بِحُسْن الظن، وسترى بإذن الله تعالى فيها ما يسرك ويبهجك في مستقبل الأيام!.





قل هو اللّه أحد

• **تخيَّلْ هـذه الوحدانيـة، وتعرَّفْ علـى معانيها، وأَجْلِبْ عليها بقلبك ومشاعرك، وتمعَّنْ في آثارها، واقرأ معانيها لعلك تولد من جديد، وترى مشهد الحياة الذي لا يغيب.**

تخيَّلْ أنَّ لك ربّـاً واحداً هو الذي خلقـك، ورَزَقك، وأمَّنك، ويسَّـر أمرك، ووظَّفَك، وسـلك بك طريق الحقِّ، وأعانك عليه وسددك، وما زال يرعاك في كلِّ شيء.

تصوَّرْ أنَّ هذا العالم بأسره لا يملك إدارة مثقال ذرة من هذا الكون، الله جَلَّ جَلَالُهُ يصنـع أحداثه، ويكتب قصته، ويجري شـأنه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] جلَّ في علاه!..

الأحـد: لا يحبُّك ممزَّقـاً، لا يريدك مفرَّقـاً، لا يودُّك مشتَّتاً، يريدك له فحسب وسيمنحك حينها كل ما تريد.

الأحد: يريد قلبك ومشاعرك ووجدانك وهتاف روحك، يريد منك كلَّ شيء، وسـيصنع لك في النهاية كلَّ شيء..

وإذا كان واحداً لا ثاني له فليــس من حق قلبك أن يذهب سدى.. ليس من حق روحك أن تلهث وراء سراب ومَعِينُ الحياة أقرب ما يكون!.

عندك كل شيء، فلا تغترب بقلبك ومشاعرك وروحك وتعيش في الأوهام وعندك الحياة.



• هذا هو الأحد، فماذا لو عرفت شــيئاً عن **الصمد**؟.. **الصمد**: الذي تصمد إليه الخلائق في حاجاتها، وتتوق إليه في رغباتها، ولا تجد هتافاً مشاعريّاً إلَّا إليه!.. تعلَّمْ هنا في رحاب هذا المعنى أن لا إلٰه غيره، ولا رب سواء، ولا مغيث للعالم دونه تعالى!.



كلما أظلم ليلك، أو طال سفرك، أو ضاقت بك الحال، أو شقَّت عليك مسافة الطريق، فاصمد بقلبك إليه، واجعل مشاعرك له، وسترى كيف ســتجد روحُك الغيثَ، وتعيش الربيع من جديد.

• لا تقلق على مستقبلك، ولا تحزن على آمالك، ولا تجهد خاطرك في انتظار ما يســعدك.. الله تعالى يملك كل شيء، وسيهبك كل شيء، فلا تجزع لحوادث الزمان، ولا تلتفت للمخلوقين في شيء.

العقيدة يا صاحب الهموم تصنع حياتك، وإذا علمت أنَّ كلَّ شيء يجري في فَلَك مُلْكِ الله تعالى وتحت قبضته، وما شـــاءه كان وما لم يشـــأه لم يكن؛ نهضت من فراش همومك، واستقبلت الأمل في عرض الطريق، وقمت تجود على قلبك ومشاعرك بالفأل غيث الحياة، واستعليت على كلِّ عوارض الطريق.



* * *





والضحى



• حين تأخَّــر الوحيُ على رســول الله ﷺ شــمت به الأعداء وجرحوا مشاعره، ووجد مضَّ التعب في الانتظار، وفي النهاية جاءت السَّــلوى تدمل مشــاعر الألم والبؤس والمعانــاة، وتســلُّ كلَّ ذلك بأرقــى معنى وألــذِّ عبارة: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ١ ـ ٥].



من قال لك بأن ربك تركك وقــلاك؟! من الذي ألقى إليك بهذا البؤس؟! من الــذي روّعك بهذه الأخبار؟! من الذي أشجى قلبك بهذه الأحزان؟!..

الحقيقــة الكبرى التــي يجب أن لا تغيــب عن قلبك ومشاعرك: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾، لم يتركك ربك وما قلاك وما أبعدك... ما زال الله تعالى بالقرب منك، ما زال يحبك ويجلك ويكرمك.

• ﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴾: آخــر أمرك غيــر أوله، الأيام القادمة في حياتــك أكثر فألاً من تلــك الفائتة! وما

ينتظرك في مستقبلك أبهج مما لم يأتك بعد، ومشاهد الفرح التي تنتظرها ستغمرك بالدهشة وتأخذك إلى أبعد مدى.

هذا عاجل أمرك في الدنيا، وما ينتظرك في الآخرة أكبر من ذلك بكثير: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾؛ غداً في الآخرة كل شيء، في الآخرة أحلامك التي لم تتحقق، وأيامك التي كنت تنتظرها بشوق!..



هناك كل فائت لم يتحقق، في الآخرة آمالك التي كنت تنتظرها، وأحلامك التي كنت تشتاق إليها.. سيأتي موعد الفرح ولو بعد حين!..



• ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾: **لا حدَّ لعطاء الله تعالى القادم إلَّا رضاك!** سندهشك حتى تنسى ما مر بخاطرك في أيام الدنيا كلها، سنعطيك حتى تقول: رضيتُ ونسيتُ كلَّ فائت في أيام الدنيا.

• **لا يتخلَّى الله تعالى عن أوليائه**، يرعاهم، ويوفقهم، ويعينهم، وإذا وجدوا في الطريق شيئاً وقف إلى جانبهم وأمدَّهم بما يحتاجون حتى يعودوا للحياة من جديد.

• **هذه السورة لنبيك ﷺ أصلاً، ولكلِّ من سلك طريقَه واقتفى أثره من بعده حتى يوم اللقاء!** ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

«ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه..».

«وإذا أحبَّ الله عبداً نادى جبريل: إني أحب فلاناً فأحبه..».

القادم في عمرك أجمل من ذلك الفائت، الأيام التي ستستقبلها أبهج بكثير من تلك التي سال فيها دمعك، وحزن فيها قلبك، وتكدَّر فيها خاطرك.

• **لا تحمل همّاً، أو تقلق قلبك وتوحش مشاعرك.. فأل الحياة القادم أبهج من كل شكوى.**









ألم نشرح لك صدرك

• إذا شرح الله تعالى صدرك فماذا بقي لك؟!..

إذا شـــرح الله صدرك جـــرى النعيم فـــي قلبك على مصراعيه، ولذَّتْ لك الحياة إلى أبعـــد مدى، وصار كلُّ شـــيء يبعث الفرح ويخلق الأمل ويُجري الفأل في قلبك كما تشاء.. **هذا المعنى إذا وجد في قلب إنسان عجّل الله تعالى له شيئاً من نعيم الآخرة.**

• **حين يشـــرح الله تعالى صدرك لا يبقى وجهٌ للبؤس،** ولا عارض في الطريق، وإذا ضاق قلبك ارتطمت الدنيا في عينيك حتى كأنك تتنفّس من ثقب إبرة، ماذا لو أعطاك الله تعالى كل شيء ثم حرمك هذه اللذة، وضاق قلبك عن كل مفروح؟!.. ماذا لـــو كنت تملك كلَّ الدنيـــا وقلبك يعتلج هموماً وضيقاً وألماً؟!.. كيف تفرح؟! أو كيف تجد السعادةُ طريقاً إلى قلب مكلوم؟!..

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

• شرح الله تعالى صدرَ نبيِّه ﷺ، وغفر ذنبه، وألقى عنه أوزاره، ورفع له ذكره؛ فما بقي له شيء لم يجده: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ١ ـ ٤].

شرح الله تعالى صدره فأعانه على القيام برسالته، وتحمّل أعباء الطريق، وما زال مُصِرّاً على عقيدته ومنهجه ثلاثة وعشرين عاماً حتى بلغ بها ما كان يؤمله.

شرح الله تعالى صدره فأعانه على مواجهة عدوه.. اتهموه، وضربوه، وطردوه، وحاصروه.. وظلَّ صابراً محتسباً.

شرح الله تعالى صدره فلم يحمل في قلبه على أحد من العالمين، حتى أعداءه صبر عليهم وصفح عنهم، وعذرهم، وعفا عنهم في الوقت الذي تمكّن من القصاص بهم.

• **إذا شرح الله تعالى صدرك أقبلتَ على دينه ومنهجه ورسالته** كأنه الماء الزلال في يوم صائف! وإذا ضاق صدرك لم تجد طريقاً لهذا المعنى، وعشت محروماً من كل شيء.

إذا شرح الله تعالى صدرك لدينه شعرت بالألق يجري في قلبك، ورأيت يُسراً في التمسّك بدينه، وزانت لك مشاهد الحياة إلى أبعد مدى، وعشت مطمئنّاً بمشاهد النعيم التي تجري في قلبك كل حين.

إذا شرح الله تعالى صدرك وجدتَ إقبالاً على الخير، وفرحاً بالطاعة، واستعداداً للعمل، وبهجة بكل ما يقرّب إلى الله تعالى، وإذا ضاق صدرك ثقلت عليك الطاعة، ووجدت عجزاً يُداهم جوارحك، وضيقاً يُلازم قلبك، وخوفاً يطاردك في كل مكان لا تكاد تجد معه متعة وبهجة.

• كل هذا المعنى بين يديك، وأقرب ما يكون إليك، وبإمكانك أن تلقاه هذه اللحظة التي تقرأ فيها أسطر هذا الكتاب، ولا يفصلك عنه شيء، **فقط آمِنْ أنَّ الله تعالى أقدر ما يكون على خلق هذه المعاني في قلبك، ثم أقبل صادقاً على دينه، وتمثّل منهجه، وتحمل أعباء الطريق، وسترى كيف تزدلف الأفراح في قلبك إلى أبعد مدى.**

لا تيئسُوا سُحُبُ الظَّلامِ ستنجلي
والفجرُ سوفَ يزفُّ صوتَ البلبلِ
ولسوفَ تهتفُ زهرةٌ فوَّاحةٌ
بشذًى يُحدِّثُ عن ربيعٍ مُقْبِلِ

* * *



واعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك



• إذا سافر المرءُ ترقّب الموت، وخاف من الحوادث، وصاح على السائق من السرعة، وربما نزل من تلك السيارة ليركب أخرى، وإذا سافر ولده لم يذق النوم؛ يرقب كل خطوة وقد بلغت الآلام في قلبه إلى أبعد مدى!..



جرى قلمُ القدر بكتب رزقك وأجلك وعملك وشقي أو سعيد! ما كُتب لك سيأتيك، وما دُوِّن في قدرك سيبلغك، وما جرى في اللوح المحفوظ سيكون في اللحظة التي جرى بها قلم القدر ولو بعد حين!..

رأيت من مات في الطريق، وآخَرَ في السفر، وثالثاً في ديار غربة، ورابعاً على سرير نومه، وخامساً على سجادته في السَّحر، وسادساً في محراب المسجد، وسابعاً في طائرة بين السماء والأرض، وثامناً في البحر، وتاسعاً في دوامه، وعاشراً على قارعة الطريق.. فلا تخفْ سفراً، ولا تخشَ غربة، ولا تقلقْ من طائرة وجو وبحر وسفينة.. ما جرى في

اللوح المحفوظ سيأتي.. ولو كان موتك في دولة ومدينة لبعث الله لك حاجةً تأتيها برغبتك، فإذا درجت في طرقاتها كانت تلك آخر عهدك بالدنيا وأول لقائك بالآخرة.. وفي الترمذي وصححه الألباني: قال ﷺ : «**إذا قضى الله لعبدٍ أن يموت بأرض جعل له إليها حاجةً**».

سافِرْ أو أقم، شارك في جهاد أو اقعد في ظلال بيتك، واركب طائرة في الجو أو سفينة في البحر أو سيارة في البر؛ وآمِنْ حينها لو مات العالم كلُّه لبقيتَ سالماً من الهلاك، آمناً من فجائع الموت.. «**واعلم أن ما أصابك لم يكن ليُخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**».

• كثيرون صنعوا للموت حكايات، وضربوا دونه بكل عائق، وفي النهاية جاءهم يخطو إلى فرش النوم، وعند باب البيت، وفي مسجد الحي، ثم استلّهم من بين كل الأحياء، وذهب بهم إلى القبور ودفنهم هناك وكأنهم لا شيء: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

ليس علاج هذه الأوهام الخوف الذي يجري في قلبك، والترصّد الذي يخالط أنفاسك، والقلق الذي يَكُدُّ مشاعرك، وإنما في الإيمان بالله تعالى واليقين بوعده، والصدق معه في كل شيء، وستجد حينها أن الحياة أخف من هذه

التكاليف التي تصنعها، والمشاق التي تعانيها، والأحداث التي ترقبهـا كلَّ لحظـة.. «**واعلم أنَّ ما أصابـك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لـم يكن ليصيبـك، رُفعت الأقلام وجفَّتِ الصحف**».

* * *







لا تَعْجَل

• حين حزم حقائبه للسـفر مـع رفاقه طلبتـه أمُّه أن يوصلها للدار، فأخذها وفي مشاعره ألف أسى أنه سيتأخَّر عن موعد الرفاق، جـاء الصَّحْبُ ولم يجـدوه، ثم ذهبوا وتركوه، وبعد سـاعات إذا به يصلّي عليهـم في محراب المسـجد.. رحلوا من الدنيا وكان موقف أمه أحد أسباب الفأل في حياته.

• ركب معهم الطائـرة ووصلوا مكانهـم، وفي رحلة العودة اعتذر منهم وركب سـيارة صديقـه لظرف عارض، وتحطَّمت الطائرة في رحلة العودة ومات كل من فيها، وبقي سالماً معافى من حوادث الزمان.

لا تقلـق لتأخُّرك، أو تضجر لتعسُّـر سـفرك، أو تحزن لفوات شيء كنت تنتظره.. آمِنْ أنَّ لله تعالى حكمة، وكم كان في عمق العسر من يسر، وفي رحم المعاناة ميلاد أشواق!..

• رنَّ جواله في الليل، فقام مذعـوراً، فقيل له: مبروك توظّف ولدك.. وحين سـمع طارق الباب في ساعة متأخرة

مات ألف مرة، ولما فتح الباب هنَّأه صاحبه ببعثة كان يرقبها من سنوات.. **كم من مباهج للفرح جاءت في ساعة متأخِّرة، وبعضها جاء في عمق الظروف والأزمات والمشكلات.**

• توفِّي زوج أم سلمة رضي الله عنها، فجاءها النبي ﷺ يعزِّيها ويسلِّيها فَقْدَ حبيبها، فقال لها: قولي «**اللهم أْجُرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها**» فقالت: ومن خير من أبي سلمة؟! فعوضها الله تعالى برسول الله ﷺ زوجاً، فصارت أمّاً للمؤمنين!..

هل كانت أمُّ سلمة تتصوَّر أن الليلة التي تُفجع فيها برحيل زوجها وشريك حياتها سَتَلِد لحظة الفرح في واقعها! هل كانت تعلم لحظة المصيبة أن أبواب المستقبل فتحت لها على مصراعيها! **هل كانت تعلم أن بعض الأفراح لا تلد إلا في عمق الظروف، وبعض المصائب هي ميلاد الحياة الجديد!.**

كم في مواقف الحزن من فرح! وكم في ليل الظلام من نور! وكم في فجائع الزمن من مواليد الحياة!..





لا تيئس





• رأيتُه لا يحتفل بأمر الله تعالى، ولا يقيم له وزناً، ولا يشهد له صلاة، ولا يقيم له معروفاً، أبَقَ من ربه إلى أبعد مدى، وظننت بأنه لا حظَّ له في الآخرة، وعجلتُ فحكمتُ عليه بأنه محروم من التوفيق..

وإذا أراد الله تعالى أمراً أجراه!.. عاد للمسجد، وأقام حقوق الله تعالى وقد استقبل مباهج الفجر، وخاب ظني في حساب العوائد، واستعجلت في أمرٍ لله تعالى فيه شأن، وأخفقت في كلِّ توقعاتي، وأعاده الله تعالى للنور من جديد.

• تزوجَتْ وانتظرتْ مولوداً جديداً وأملاً كبيراً ورحلة أفراح وأشواق، ولكن أبطأ ذلك الميعاد، وتخلّف ذلك الفرح، وغاب طويلاً ذلك الفأل المنتظر! فقضت ذلك الزمن الطويل، ويئست من ميلاد ذلك الحلم..

وفي أول ليلة من قضاء عشرين عاماً **جاء الفأل يخطو**، وارتسمت تعابير الحياة على وجهها وحلَّ الربيع.. وفي بيتها اليوم ثمانية من الولد.

• مرض وسقط في غيبوبة دامت ثمان سنوات، وأخبرهم الأطباء أنه إنما ينتظر لحظة القدر، ميئوس من حياته، حتى اقترح عليهم أحد الأطباء أنه يمكن أن يستفاد من أعضائه في مرضى يحتاجون هذه الأعضاء وهم أقرب منه للنجاة..

وشـــاء الله تعالى أن يجري الحياة في جسده بعد يأسٍ، فألْهَمَ زوجَــه أن **تديم عليه قراءة ســورة الفاتحة** في الليل والنهار، والصيف والشتاء، وأول اليوم وآخره، فما شعرت به إلَّا وهو يحمد الله تعالى ويعود حيّاً في العالمين.





• كان **زكريا** عليه السلام نبيّاً من أنبياء بني إســرائيل، وكانت زوجه عاقراً، وتقدَّم به العمر ولم تحمــل زوجه ولم تأتِ بشـــيء من الأفراح التي كان ينتظرها، وقد حكى الله تعالى عن حاله وكبره وضعفه وتطاول الزمن بــه قبل أن تأتي له تلك الأمنية: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤].

وفي كل مرة تثور في نفسه رغبة الولد، وتجتاحه مشاعر تلك الأمنيــة، فيقبل على ربــه ويهرع إليه ويســأله ملحّاً: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [آل عمران: ٣٨].

ولما كان الرجل صالحاً، وجاء دعاؤه عن يقين، وأقبل بكليّته على ربه تعالى؛ تنزّلت تلك النعمة على غير ميعاد،

وعلى غير عادة: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩].

لقد بلغ سناً لا يأتي معه الولد، وكانت زوجه عقيماً لا تلد؛ فكيف تأتي تلك الأماني الكبار على مثل هذه الحال؟! كيف يأتي ولد لكبير سن؟! وتأتي أمنية لامرأة عاقر لا تلد؟! كيف تحوّل المستحيل إلى واقع، والأمنية إلى حقيقة؟! والأمل البعيد إلى شيء يجري بين أعينهم؟! **إنه الله تعالى الذي يصنع كل شيء!..**

• وهذا نبيُّ الله تعالى **أيوب** عليه السلام؛ مسّه الضُّرُّ في نفسه وبدنه، وفي أهله وولده، وفي ماله وممتلكاته، فتخيّلْ مخلوقاً أحاطت به البلايا في كلِّ شيء: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

فلما أقبل على ربِّه مصدّقاً بوعده، راجياً فيما عنده، متأدِّباً في دعائه؛ أفاض الله تعالى عليه الأماني، وأنزل شفاءه، وأفرغ عليه عافيته ونعمته، وأزال داءه ومرضه، وأعاده سليماً معافى في كل شيء: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

* * *



رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف





• **ما كتبه قلم القــدر، ودُوّن في اللــوح المحفوظ، وسُجّل في صحائف العلم من سيرتك؛ لا يقبل التغيير،** ســيجري كما هو في لحظته، ومكانــه، وزمانه، وبذات التفاصيل لن يتغيّر منها شيء، قال ﷺ : «**رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف**».

حتى تفاصيل رزقك، وربحك وخســارتك، ووظيفتك وترقيتك، والأرباح التي تحوزها، والخسائر التي تقع فيها، والأحداث التي تواجهها، ورحلة الطريق باتجاه هذا المعنى كلها جرى بها القلم وجفَّ بها الحبر، ولا سبيل إلى إعادة شيء من قدر تلك الأحداث والأحوال.

زواجُــكَ، وزواجكِ بتفاصيل البدايات، ومشــاهد النهايات، وليلة الزفاف.. وما جرى بعد ذلك كله؛ جرى به قلم القدر، فلا تضجــر لتأخُّر ذلك الموعد، أو لعدم مناسبة ذلك الزوج، أو ما رافق ذلك من أحداث لو لم يكن قدراً لما جرى منه شيء في الدنيا.

• **والأسباب من القدر**، ومن ضرب بجهده في تلك الأسباب أوشــك على تلك الآمال التي ينتظرها، ومن اتكل على الأماني قعدت به في بداية الطريق.

• **ماذا لو أسـلمنا نفوسـنا لله تعالى! وأوكلنا إليه أمورنا وسائر آمالنا! وجعلناه مردنا وخاتمة أمرنا في كل شــيء!** ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]؟!..



حين تشتاق لشيء فارفع يديك إلى السماء؛ **فالدعاء من جملة القدر!**.

قل: (يا رب) وقلبــك ممتلــئ يقيناً أنــك بالغ مناك وواصل إلى مداك!.

قل: (يا رب) وشعورك يلفك بالفرح أنه لم يعد يفصلك عن أمانيك شيء.

قل: (يا رب) وتيقَّن أن آخر كلمة منك هي أول الغيث في وواقعك.

• بعض نسائنا دفعت كل ما تملك من أجل الولد، ولمّا أبلغها الطب بأنه لا ســبيل لكِ إلى شيء من ذلك؛ فجأها القدرُ بأمانيها على غير ميعاد وكان الفرح.

ـ بعضهم شُلَّ شللاً رباعيّاً، وعجز عنه الأطباء بالكلية، فإذا به بين عشية وضحاها يمشي كبقية المخلوقين: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسٓ: ٨٢].

ـ وآخرون كانوا قاب قوسين أو أدنى من الموت، فإذا بهم يعيشون زمناً طويلاً ويُكتب لهم حظ من الحياة.



ـ وقوم أرهقتهم الديون، وعاشوا مشرَّدين زمناً، وغابوا عن بيوتهم، وظنوا أن ذلك هو قدرهم ما بقيت الدنيا، وبين عشـية وضحاها وإذا فـي رصيـد الواحد منهـم ملايين الريالات، فتح الله تعالى لهم نافـذة في الظلام، وفجراً في عمق الظروف، وأمـلاً في عرض الطريـق؛ فاغتنموا تلك الفرصة، وهبّوا إلى ذلك الأمـل، وبدؤوا خطوات التغيير؛ فإذا بهم شـيء آخر؛ كأن الديون لم تمر على حياتهم وفي واقعهم يوماً ما..



ومن تدبّر قول الله تعالـى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] **عرف أنه لا كبير على الله تعالى!.**

* * *



٩
المرض والفأل

• قال لي صاحبي: قابلته لغرض تجاري، وبينما أنا وإياه في الحديث تذكّر موعد العلاج، فاعتذر مني وطلب دقائق ليشرب علاجه، فسألتُه، فقال لي: أبشِّرك؛ أصابني الله تعالى بالسرطان!.

فقلت له: تبشرني بأنه أصابك أسوأ الأمراض؟!.

فقال: إي والله! لقد كنت أظن أنني على خير حتى أكرمني الله تعالى بهذا، فعدت إلى حالي، وأصلحت واقعي، ووصلت رحمي، وتساميت عن كل خلافاتي، واعتذرت من كل من اختلفت معه، وعدت إلى المسجد واغتنمت مباهجه، وأقبلت على القرآن، ولم تَفُتْني صلاة الفجر وتلاوة كتابه وجلسة الإشراق، والحرص على الأذكار من زمن طويل والحمد لله تعالى، ولو لقيت الله تعالى على هذه الحال للقيته آمناً مطمئنّاً إن شاء الله تعالى، **وعلمت حينها أن السعادة بين أيدينا ولم ندركها بعد،** أما شأن المرض فله

معي عشر سنوات كنت موعوداً في كل لحظة منها بالموت ولم أمتْ، ومات عدد من الأصحاء وما زلت!..

• من قال لك يوماً: إنَّ المــرض يقرّب أجلك، ويدني موتك، ويفرّق بينك وبين أهلــك وأصدقائك؟!.. كثير من المرضى ما زالوا على قيــد الحياة في حين رحل الأصحَّاء الذين كانوا يرتعون في العافية.

ألقك وفرحك لا يجــوز بحال أن يقتلــه المرض، أو يبدِّده الوهــم، أو تكر عليه فجائع الزمن فتنســيك معانيه، ســعادتك من فألك، وأملك في الله تعالى، وإقبالك عليه، ورضاك بما أعطاك أو منعك.

• **ما صنعه المرض أنه أيقظَ حِسَّك وضميرك**، وأشعرك أنــك بحاجة إلى شــيء من المحاســبة لعملــك، ودعاك للاستعداد الأمثل، ونبَّهك أن طريقك الطويل أوشك على النهاية؛ حتى تســتعتب من ربك ولا تَرِدَ عليه إلا في كامل اســتعدادك.. **لو لم يكن في المرض إلا هذا المعنى لكان معنى كافياً في الفأل والأمل**، وربيعاً مورقاً في واقع واقعك.

هكذا صنع الله تعالى بنبيه ﷺ حين أراد قبض روحه، ووداعه مــن الدنيا، ورحيله من الأرض، لــم يأخذه فجأة، وإنما أنزل عليه ســورة تُذكّره بقرب أجلــه ورحيل عمــره:

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١ ـ ٣].

وبيَّن له سبب ذلك: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ رتِّب وضعك، واستعدَّ بالاستغفار والتوبة والاستعتاب حتى لا تَرِدَ على ربِّك إلَّا وقد بلغت وسعك وجهدك.



أفليس من اللطف بك والرحمة بحالك أن يجعلك الله تعالى شبيهاً بنبيه ﷺ ولا يأخذك بغتة فتعود من المتأسِّفين؟!..



• خذ جولة على التاريخ لتقرأ سير أولئك الذين ابتلاهم الله تعالى، وتأمل في الآثار التي يحدثها لك المرض، ويهبك إياها، ويبعثها في واقعك، ويكتب حظها من حياتك، قال ﷺ: «**إذا أحبَّ الله قوماً ابتلاهم**».

وقال ﷺ: «**ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يلقى الله وما عليه خطيئة**».

فتصوَّرْ مريضاً محتسباً محا الله تعالى خطاياه، وأعفاه من غموم الذنوب، وأجرى عليه مساحات الفأل، ولقي الله تعالى خالياً من التبعات!..

• لعله بلغك خبر المرأة السوداء في زمن النبي ﷺ وقد كانت تعاني من الصرع، وجاءت تسأل النبي ﷺ الخلاص من هذا الداء، والشـــفاء من هذا المرض: يا رسول الله، ادعُ الله أن يشفيني!..



فما كان منه ﷺ إلا أن أدار فكرها وعقلها إلى شيء آخر، إلى الجهة المقابلة، إلى الباب الذي لا نكاد نلتفت إليه في كثير من ظروفنا وعقبـــات الطريق التي تواجهنا: «**إن شئتِ دعوتُ الله تعالى أن يعافيك، وإن شئتِ صبرتِ ولك الجنة!**».



تصبر على ماذا يا رسول الله؟!..

على الجنـــون الذي يغشـــاها في يومهـــا وليلها! على الصرع الذي يسقطها أمام الناس وعلى مرأى من العالمين! على الوحدة التي تعانيها! على المعاناة والظروف البائســـة التي ستواجهها ما بقي من عمرها؟!..

كل هذا لم يثنِ هذه المرأة عـــن صناعة قرارها الكبير: أصبر يا رسول الله، ولكن ادعُ الله إذا صُرعت ألّا أتكشّف!.. فقط كانت تنشـــد العفاف رغم ظروفها، وترضى أن تعيش تصارع المرض ما بقي من عمرها.

من حقِّـك أن تقف مشـدوهاً أمام هـذا الوعي بمقام الآخرة! (أصبر يا رسـول الله، ولكن ادعُ الله إذا صرعت ألا أتكشّف!) حتى قال ابن عباس لمجاهد: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قال: بلى. قال: هذه!..

تصوّر كم عاشت من السـنين تصارع المرض على أمل ذلك الوعد الكبير! كم هي الأيام التي دارت غصصها في قلبها ومشـاعرها والمـرض يصرعها فـي الطرقات وتجمعات الناس وهي تنتظر ذلك اليوم! كم دفعت من مشاعرها وعواطفها وجسدها وروحها لتلك الأماني!.. ثم أين هي اليوم؟!..

قارن بين أيـام الدنيا بأمراضهـا، وأحداثها، ولأوائها؛ وبين لحظة من لحظات الآخرة التي كانت تنتظرها ثم آلت إليها في النهايات.

قارن بين أيام الدنيا كلها ولحظـة واحدة من لحظات الأنس في الجنان.

قارن فالحقائق لا تبين إلَّا بهذا التحديق بين مشهدين مختلفين صورة ومعنى!..

* * *



وفي السماء رزقكم وما توعدون



- **الرزق الذي تبحث عنه كُتب لك وأنت في بطن أمك في الأربعين الأولى من عمرك: «ثم أمر بكتب رزقه».**

ولو قررت ما بقي من عمرك أن تبقى في حر الشمس وتجالد من أجل المال؛ ما بلغتَ إلّا ما كتبه قلم القدر وما دوّن في اللوح المحفوظ!..



رأيت بعضهم يتأسّف أن فرصة من الفرص فاتته، وأملاً ذهب منه وقد أوشك على لقائه، وحدثاً انتظره من سنين ثم ضاع قبل الوصول إليه.. ولو علم أن ما كتب له سيأتيه، وما ليس له لن يبلغه؛ لروّح عن قلبه وسلم من الشتات.

آمن أن مالك الذي سُرق، وبيتك الذي حرق، وسيارتك التي تلفت، وأموالك التي ذهبت.. كل ذلك جرى به قلم القدر قبل أن يخلق الله تعالى السموات والأرض بخمسين ألف سنة؛ فلمَ القلق؟!..

- في القرآن حديث مستفيض يطمئن قلبك، ويهدئ روعك، ويبث شجون الفرح في وجدانك، عن مسألة الرزق:

ـ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الإسراء: ٣١] و(**نحن**) هذه حقها أن تسكب الحياة في قلوب الخائفين والقلقين من الفقر.

ـ ربك هو الذي يدير شأن الرزق بعدله وفضله: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الزمر: ٥٢].

ـ مسألة الرزق ليست عبثاً أو صدفة أو شيئاً عارضاً، وإنما تجري وفق قدر الله تعالى وحكمته: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الإسراء: ٣٠].

ـ وهذا التباين الذي تراه في واقع الناس ليس لقدرتهم أو مكانتهم أو ملكهم وشأنهم، كلا! وإنما أمر من ربك وتفضّل منه: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾ [النحل: ٧١].

ـ لقد أعطى الله تعالى المال من يحب، ومن لا يحب، أعطى المؤمن والكافر على حدٍّ سواء، وحكى لنا في القرآن أنه مدَّ به قارون الضالَّ حتى حكى الله تعالى أن مفاتيح خزائنه لتثقل على عصبة من الرجال: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ [القصص: ٧٦].

ولكنهــا فــي النهاية لم تصنــع مجــده وتكتب حظه وتســتطيع أن تســعده، بل ألقت بــه في خزايــا العذاب: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

ـ أمانيك التي ترجوها، وأحلامك التي تنتظرها؛ هناك في الســماء، لا تبلغها أيــدي المخلوقيــن، ولا تصلهــا نفوس الحاسدين: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].



ـ ما في الأرض تغتاله نفوس الحاســدين، وتجهض عليه أيدي الظالمين، ولكن ما يصنعون في رزق الســماء؟!: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾.



ـ ما جرى به قلم القدر لك سيأتي في موعده، في ذات اللحظة، في المكان الــذي أراده الله، لا يتخلّف ولو وقفت دونه ألف يد!: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾.

• **إذا رأيــت تكالب النــاس على هذه الدنيــا فمدَّ قلبك وبصرك ومشــاعرك إلى الســماء، إلى هناك، إلى ما عند الله تعالى، ودعهم يتخاصمون ويتنازعون على أرباح هذه العاجلة دون شيء.**

ـ **لا تتأسف على فائت** ولو كان أقرب ما يكون إليك، ولا تذهب أفراحك من أجل شيء لو قدّره الله تعالى لك لما سبقك إليه أحد، ولما وقع في يد مخلوق!..

ـ **ابذل سـبب الدنيا وقلبك معلّق بربـك**، وإذا صُرف عنك شـيء فاعلم أنه لم يجرِ في قلم القدر، ولم يدر في اللوح المحفـوظ يوماً ما، أَمَـا إنه لو كان قـدرك لجاءك لا يقدر على منعه بشر.

ـ **عش هانئاً، وتذكّرْ**: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هـود: ٦] أي دابـة رزقهـا مدوّن محفـوظ مكتوب، لا يوجد في الكون شيء سدى!..

ـ «**لو أنكم تتوكلون على الله تعالى حق توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً، وتعود بطاناً**».. من علّم الطير أن رزقها مكتوب! وأنها حين تستيقظ في كل صباح وتخرج في كل يوم إنما تشق الطريق إلى قدرها، وتأخذ ما كتب لها، وتمضي لا تخاف شـيئاً، وما زالت تبنـي آمالها على تلك الفطرة التي أودعها الله تعالى فيها كل يوم.

ـ تقرأ قـول رسـولك ﷺ: «**لن تمـوت نفس حتى تستكمل رزقها**» فلِمَ القلق! لن تودّع الدنيا حتى تأخذ آخر قطرة من مائك، وآخر كسـرة من عيشك، وآخر ريال في سجلات حياتك، ولن يستطيع فرد أو دولة أو أمة أن تقف دون ذلك بشيء!..

* * *



نحن نرزقك

• خذ جولة بمشاعرك، وفكرك، ووجدانك في الأشياء التي جعلها الله تعالى سبباً للرزق: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].. **فقط اعمر تلك المساحة التي تكون فيها بالإصلاح، وابعث فيها أشواق مساحات العمل، وسيأتيك رزقك كما تشاء.**

ـ ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ ليس جهدك الذي بذلته، ولا محاولاتك التي صنعتها، ولا عقلك الذي فكّرت به، الله تعالى سيتولى رزقك، وسيبعث لك ما يهيض عليك الأفراح، و(**نحن**) هنا دليل ذلك الوعد الكبير!.

ـ (**نحن**) الذين سندير شأن قضيتك، ونفرّج كربتك، ونثري مساحتك، ونلبي حاجتك، ونغيث وجدانك، ونكتب حظك كما تشاء.

ـ (**نحن**) الذين نملك كل شيء، ونقدّر كل شيء، ونصنع كل شيء.. لا تقلق فنحن سنتولى عنك تكاليف

الطريق، وعناء الأيام، وكلفة السفر في سبيل ما ترجوه، ونهبك رزقك حتى ترضى.

ـ حين تقرأ ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَ﴾ لا تقرأها حرفاً، وكلمة، وجملة، اقرأها مشاعر ووجداناً وروحاً، اقرأها وقد بلغ منها قلبك مناه، وتاقت نفسك لوعدها كأنه فلق الفجر لا فرق.



لا تبعث حروفها بلسانك حتى تستعمر مشاعرك، وتستولي على قلبك، وتأخذ حقها من روحك.

ـ (نحن) هنا هي الحياة!.

• تعالَ بمشاعرك وقلبك إلى هذا النص النبوي: «**من أحبَّ أن يُنسأ له في أثره، ويُبسط له في رزقه، فليصِلْ رَحِمَه**».

فتأمل هنا قول نبيك ﷺ: «**ويُبسط له في رزقه**» مسألة فوق العطاء والكفاية، مسألة بسط الرزق الذي لا يحتاج الإنسان معه بعد ذلك إلى شيء.. فقط قم إلى رَحِمِك، وانقل خطاك إلى هناك، وسيتولى الله تعالى شأنك، سيرزقك، سيعطيك، سيمنحك، سيهبك كل شيء للدرجة التي لا تشعر معها بحاجة إلى أحد من العالمين.

بمجرد سؤالك عن أهلك وأقاربك ورَحِمِك ومن بينك وبينهم وشائج قربى؛ سيتولى الله تعالى شأن الرزق

بالكلية، وسيصنع لك منه مباهج عمرك، ويكتب لك منه حظوظك الكبرى.

المسألة فوق تصورك: «**ويُبسط له في رزقه**» هذا الوعد سيغطي ظروفك، ويقضي حاجتك، ويسد دينك، وسيصنع فائضاً يغطي كل أحداثك القادمة في مســـتقبل الأيام، فقط **صِلْ رحمك**.



• ذات مرة لم يكن بين إنســـانٍ وحلِّ أسوأ ظروفه التي يعانيها إلا أن يفتح جواله، فقد أعاد إليه صديقه المال الذي كان ينتظره.



ـ وآخر قال في الحرم ذات ليلة من ليالي العشر: لعلّ صاحبنا ـ وكان بأرض غربـــة وقد عمل معهم في برامج في تحفيظ القرآن عن بُعـــد ـ قعد في بيت من بيوت الله تعالى ورجا الله تعالى في شـــيء! قلتُ: لِمَ؟ قال: أشعر أني مدفوع هذا المساء لبعث مال إليه نظير خدمته لكتاب الله تعالى!.

ـ وجاءني ذات مرة مكروب في دَيْن في حدود الخمسة عشـــر ألفاً، ووعدته فألاً وأملاً وليس بيـــدي تلك اللحظة شـــيء، وما هي إلا أيام إذا برجل يســـتفتي وأعطاني مالاً مناسباً لتفريج كربته.

كثيرة هي الأحداث التي تقول لنا في كل مرة: **إذا خلا قلبُك من المخلوقين امتلأ ثقةً بوعد الله تعالى، وإذا فرّغته من غير الله تعالى بعث الله تعالى لك من يتولى أمرك، ويسد دينك، ويفتح لك آفاقاً ما كانت لك على بال.**

ـ حدّث رسولنا ﷺ ذات مرة بحديث يحكي ذات المعنى، فقال: «**بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتاً فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ. فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ ـ لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ ـ فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتاً فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ**».

فتأمل قصة هذا الذي آمن أن **المال مال الله تعالى، وعلم أن ما ينفقه في سبيل الله تعالى لا ينقصه وإنما يزيده**، وبذل السبب الشرعي الذي في إمكان كل إنسان ولا يتوقف إلا على روح العطاء؛ بعث الله تعالى إليه مَلَكاً يُعنى بمزرعته ويسقيها، ويهب فيها ما يريده ويأمله.

وإذا قنط قلبك فَارْقِهِ بهذا المعنى الكبير: «**يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**».







١٢

بَغِيٌّ وقصة الغفران

• امرأة بَغِيٌّ عاشت زانية زمناً طويلاً من عمرها، ثم ذات يوم وهي في الطريق مرت على بئر لتشرب، وحين رويت فإذا بها ترى كلباً يلهث من شدة العطش، فعادت فحملت في مُوقِها ماءً لتسقيه، وحين روي غفر الله تعالى لها ذنبها، وأسبل عليها مغفرته ورضوانه، وانتهت مشاهد الحرمان كلها وعادت من جديد للنعيم والجنان.

تأمل قصة سنين طويلة من الزنى، والفوضى، والضلال.. ثم يريد الله تعالى أن يرحمها ويختم لها بخير، ويسبغ عليها فصول النعيم والنور، فينقلها من وحل المعصية إلى ربيع الأيام.

تنتهي فصول الزنى والبغي والحرمان كلها بمشهد جميل، ولحظة عطف، ووجدان قلب؛ ليرفعها من عالم الأرض إلى عالم الجنان، وتجري عليها هناك فصول الفأل والأمل: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧] .

هذه الزانية لم تقدم عملاً ضخماً يمكن أن يقال: يعادل لحظات السوء التي عاشتها من عمرها، وإنما دفعت في لحظة من مشاعرها وقلبها ووجدانها وإنسانيتها لحيوان نجس في شريعة الله تعالى، وإذا عاش في بيت أنقص من أجرهم قيراطين كل يوم! **ولكنها رحمة الله تعالى التي يهبها الله تعالى للمنتظرين.**



- أيبقى في قلبك خوف من عوائق الطريق؟! أتظن أن ربّاً يجازي على لحظة وفاء مع حيوان نجس يكتب عليك الخذلان وأنت في الطريق إليه؟!.



أتظن أن ربّاً لم يحتفل بالخطأ في حقِّه زمناً طويلاً، وحين وجد طارقَ حُبٍّ وصدق ورغبة كفّن فيها لحظات الضلال والبعد والحرمان، يمكن أن يصنع لك خواتم السوء وأنت ترجوه في كل حين؟!.

أيّاً كانت خطيئتك ومعصيتك في حق ربك؛ إذا أقبلتَ عليه صادقاً تائباً منيباً غفر لك، وعفا عنك، وكتبك في سجل التائبين العائدين ولو كانت تلك الخطايا تزن الجبال!.

لا تقلق فالذي غفر لزانية بغي سيغفر لك، والذي تاب على قاتل المئة سيتوب عليك، والذي قبل توبة

المشـــرك الكافر ســـيقبلك مهما كانت ذنوبك.. أصْلِحْ ما بينك وبينه تعالى، وابـــدأ خطوك في طريق الإصلاح وســـترى ما يبهـــج خاطرك، ويصنـــع أمانيـــك ويحقق أحلامك في الدارين.









كان يُداين الناس!



• لم يتعرّف على الله تعالى قبل موقفه الأخير، لا علاقة له بالمنهج، ولا بالرسالة، ولا بالعمل، ما كانت الآخرة تعنيه في شيء! منّ الله تعالى عليه بالمال، وجاشت في قلبه مشاعر الرحمة لمن حوله، للمعْسِرين، لأولئك المحتاجين، لعوائد الجود والرحمة والوفاء! فمضى يداين الناس ويقول لعامله: خذ ما تيسَّر واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله تعالى أن يتجاوز عنا.



وفي النهاية مات كما يموت الناس، ورحل كما يرحلون، فقال الله تعالى: انظروا لعبدي ما صنع؟ وهو أعلم. فقالوا: يا رب، لم نجد له عملاً إلا أنه كان يداين الناس ويقول لدائنه: خذ ما تيسَّر واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله تعالى أن يتجاوز عنا! فقال الله تعالى: «**يا ملائكتي، أدخلوه الجنة، أنا أحق بالتجاوز منه**» رواه مسلم.

قارن بين هذا الموقف الذي توفَّق له وجاد به من خاطره وأقام لله تعالى فيه شأناً، وبين مواقف الإعراض التي

عاشت معه في كل عمره، وانظر لخواتيم النهايات لتعلم أن الله تعالى لا يريد أن يعذِّبك أو يشقَّ عليك أو يحرمك أو يرمي بك في غياهب الظلام، وإنما يريد أن يعفو عنك ويرحمك ويختم لك بخير!.

هنا لا تسأل عن حساب الموازين، وقضية العدل، وإعطاء كل ذي حقٍّ حقَّه، هنا في مواقف الرحمة حساب الفضل والعفو والصفح والغفران، لا سبيل للحساب منها في شيء.

موقف كرم واحد أدال على مواقف السوء كلها، موقف لحظة لم يبق للحظات السوء شيئاً من عتام الظلام!..

• إذا كان هذا الذي ليس له شيء من العمل إلا ما صنعه من التجاوز مع المدينين احتفى الله تعالى فتجاوز عنه وغفر له وأسكنه فسيح الجنان! فكيف بك وأنت قضيت عمرك كله في طاعة ربك ومنهجه؟!.

كم خطواتك التي غبّرت بها أرضاً في سبيل الله تعالى! ووجهاً عفَّرْتَه مراراً من أجل الله تعالى! ومشاعر أجهدتها الأماني في سبيل رضوانه ومرضاته! كم هي الليالي التي قضيتها قائماً تصلي! وساجداً تدعو! ومسافراً ترجو رضاه! **أتراه يتركك، ويهجرك، ويدعك مُحمّلاً بأثقال معصيتك**

وخطيئتك؟! لا تتصوّر هذا مجرد تصوّر فضلاً أن يجري في مشاعرك حقيقة وواقعاً.. فالله تعالى أكرم من كل شيء.

* * *

هيَّـا لنغـرسَ فـي الـدُّروبِ زهورَنـا
هيـا لنوقـدَ فـي الظَّـلامِ شُـمُوعَنا

إنْ كانتِ الشـمسُ الحزينـةُ.. قد تَـوَارى دِفْؤُها
فغـداً يعـودُ الـدِّفْءُ يمـلأ بيتَنـا
والزهـرُ سـوف يعـودُ يرقـصُ حولَنـا

(فاروق جودة)







يا عبادي

• قال ﷺ : «قال الله تعالى في الحديث القدسي:

ـ يَا عِبَادِي، إِنِّـــي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِـــي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً، فَلَا تَظَالَمُوا.

ـ يَــا عِبَــادِي، كُلُّكُــمْ ضَــالٌّ، إِلَّا مَــنْ هَدَيْتُــهُ، فَاسْتَهْـدُونِي أَهْدِكُمْ.

ـ يَــا عِبَــادِي، كُلُّكُــمْ جَائِـعٌ، إِلَّا مَــنْ أَطْعَمْتُــهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ.

ـ يَــا عِبَــادِي، كُلُّكُــمْ عَــارٍ، إِلَّا مَــنْ كَسَــوْتُــهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ.

ـ يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْـلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ.

ـ يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَــنْ تَبْلُغُوا ضَــرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.

ـ يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً.

ـ يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً.

ـ يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ».

• هذا ربك يتحدث عن نفسه، ويمنحك فصلاً ممتعاً في الحياة، ويدعوك للتأمل في مباهج هذه المعاني التي يرويها لك بإمعان!.

ـ «يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ» أنت أقل من أن تبلغ أمانيك، أو تصل إلى أحلامك، أو تبلغ أهدافك، إذا لم يهبك ربك توفيقاً، ويمنحك رشاداً، ويدفعك إلى آمالك، وإلَّا ستقف في عرض الطريق لا تبلغ من ذلك شيئاً.

ـ ومهما بلغ جرمك، وعظمت خطيئتك، وكثرت معاصيك؛ فالله تعالى يغفر كل شيء: «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ».

لا تقلــق على ذنوبك التـــي اقترفتهـــا، وخطاياك التي وقعت فيها، وجرائمك التي تلبّســـت بها، لـــن يبقى منها شيء، وسيعود ربيع أيامك كما كان.

هذا ربك يملك كل شيء، ويهب كل شيء، ويغفر كل شيء، ولا يُبقي من أخطائك وأدرانك شيئاً.

ـ ولو أن النـــاس كلهم احتاجوا إلى ربهم في شـــيء، ورغبوا فيه، وتاقت أنفسهم إليه، ثم أعطاهم كلهم؛ ما نقص ذلك من ملكه شـــيئاً: «**يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُـــمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**».

ـ ماذا لو قرأنا هذا الفصل الممتع في كمال الله تعالى، وعظيم سلطانه، وواسع فضله وإحسانه؟!..

* * *



قاتل المئة



• تأمّل هـذا النصّ القرآنـيّ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] لترى فيه مشهد الجريمة والاعتداء علـى محارم الله تعالى، واسترخاص حرمات الله تعالى لأدنى سبب..



وانظر إلى غضب الله تعالى وزجره وتعنيفه، حتى كأنك لتشعر أن مثل هذا القاتل لـم يعد من حقه أن يستمتع بشيء.. ثم لا تكاد تذهب بعيداً فقط تقلب ورقة واحدة من السُّنَّة النبوية لتقرأ مشهداً مقابلاً..

• قـال ﷺ: «**كَانَ فِيمَـنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَم أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً.**

ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَم أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ

يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاساً يَعْبُدُونَ اللهَ، فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ.

فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِباً مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ. وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ.



فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ».



قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ.

قتل مئة نفس ظلماً وبغياً وعدواناً، ولم يأتِ في مقابل هذا الظلم إلا بنية تزدحم فيها مشاهد الندم ليس معها أي عمل صالح، وفي النهاية يوحي الله تعالى إلى هذه الأرض، إلى الجماد المستقر، إلى هذه المساحة التي لا يتخيّل إنسان أن تحتفي بهذه النية إلى مثل هذه الدرجة، وتزدلف من أجل ذلك الذي أراد ما عند الله تعالى فحسب، حتى كان في النهاية من أصحاب الجنان!..

• تخيّـل هذا الرب الـذي لا يريـد أن يرهقك ويثقل كاهلك بهموم خطيئتـك! يلغي خطايا قتـل مئة نفس في مقابل نية هتفت في قلب صاحبهـا! ويأمر أرضاً جامدة أن تتحرّك لرحمة عبد أقبل يوماً يريد ما عند الله تعالى!..

ـ فماذا لو عُرض عليك مشهد الكافرين وهم يتزاحمون على إيذاء أولياء الله تعالى، ويتفننون فـي الصدِّ عن دينه، ويصنعون كلَّ شيء لسبِّه وإيذائه، ثم لا يزيد الله تعالى على أن يقابلهم بهذا المعنـى البهيج: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨] كأنه لم يكن شيئاً.

ـ ماذا لو عُرض عليك مشهد التبديل: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

المسـألة أكبر من مشـهد عفو وصفح وغفران! وإنما تبديل لكل تلك السيئات ومشـاهد الخطيئة بمباهج رحمة وغفران وحسـنات: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

* * *

١٦
لَلَّهُ أشدُّ فرحاً بتوبة عبده

• **ثمة مشاهد لو كنتَ تملك كلَّ صور البيان لم تستطع أن تحكي جزءاً واحداً من أحداثها، فضلاً أن ترويها أو تحكيها كاملة مستوفية!** ستقف لغتك وحرفك وبيانك عاجزة عن حكاية بعض فصولها؛ فكيف بها كلها مجتمعة في اللحظة ذاتها.

من هذه المشاهد: المشهد الذي يحكي فيه النبيُّ ﷺ فرح الله ﷻ فرحاً يليق بجلاله وعظمته من أجل الإنسان، من أجلي وأجلك، من أجل فرد في أرضٍ خَلَقَ الله تعالى فيها ما لا يُحصى من العالمين!..

تعال لحكاية هذا المشهد وترانيم فصوله العذبة في واقعك، قال ﷺ: «**لله أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا،**

قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِـــدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ».

قل لي بربِّك ما لله تعالى من هذا الفرح سوى سعادتك، فرحك، بهجتك، ســرورك، عافيتك من الضلال، ونجاتك من النار، وسعادتك في الدارين!..

أضاع دابته التي عليها كل آماله؛ طعامه، وشــرابه، وحياته، في صحراء ليس فيها من معالم الحياة شــيئاً، ولم يكن ينتظر ســوى الموت! ذهب منه كل شيء ولم يبق له في الحياة ســوى الموت! ثم فجــأة وإذا بالدابة عنده عليهــا طعامه وشــرابه وأمانيه كلهــا، فلما فجأه الموقف ارتاع من الفرح، فقــال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**».



نام موغِــلاً في الحســرات، ثم اســتيقظ فجأة على مشاهد النعيم!..

- **حين تتــوب وتقبــل إلى ربــك وتــؤوب إليه، وتأتــي صادقــاً نادماً؛ لا يغفــر ذنبك ويتــوب عليك فحســب، وإنما تجري أفراحه تلــك اللحظة أعظم مما تجري أفراح ذلك الإنســان حين تعود إليــه تلك الدابة وعليها الطعام والشراب!..**

ماذا بقي من همومك! من أحزانــك! من أمانيك؟!..
مــاذا بقي فــي قلبــك من قلــق! مــن وحــل معصيتك وإسرافك؟!.. ماذا بقي من آلامك التي جالت في خاطرك يوماً ما؟!.. ستأتي لحظات الأنس، وستعود الحياة تجري في ربوع قلبك ومشاعرك كما تشاء.

* * *





جعل الله الرَّحمة مئة جزء

• هل رأيتَ أُمّاً مرض ولدها! أو سافر عنها! أو فُجعت برحيله من الدنيا؟ هل تستطيع أن تحسب مشاهد الرحمة التي تختلج في قلبها ومشاعرها تلك اللحظة؟..

رأيتُ ذات مرة دابة مات ولدها، فإذا بها تأتي له من كل زاوية، وتشمه، ثم ترفع رأسها كأنها تستشرف قادماً يعيد الحياة لقلبها، ثم تعود إليه وتأتي له من كل جانب ودت أن تأخذه في أحضانها ولكن لا سبيل إلى شيء من ذلك..

كل هذه الصور التي امتلأت بها عينك مجرد صورة واحدة من مئة جزء خلقها الله تعالى، وجعل منها تسعة وتسعين لمواقف القيامة..

قال ﷺ: «**جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِئَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءاً وَاحِداً، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلَائِقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ**».

قل لـــي بربك: ماذا بقـــي من صور الخــوف والقلق في قلبك؟! ماذا بقي من مشاهد التشاؤم والحزن في مشاعرك؟!..

هذا هو ربك لا يريد أن يشقيك، ولا أن يحزنك، ولا يكـــدّر خاطـــرك: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧].

• **لا تتصوّر أنك تدير خصومة مع ربك لا بد فيها من منتصر!** لو أنك صنعت من الخطايا كالجبال، ثم اشـــتقت إلى مشهد رحمة؛ لغمرك بما لم يكن في حسبانك، أو يأتي لك علـــى بال، قال ﷺ: «**لـــو لم تذنبوا لذهـــب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله تعالى، فيغفر لهم**».

تخيّل ماذا يقول ربك!: «**يا بـــن آدم، لو جئتني بقراب الأرض خطايا، ثم اســـتغفرتني؛ غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي**».

هل تفقه معنى: قراب الأرض؟! وتفقه معنى: خطايا؟! لو جئت بملء الأرض ذنوباً أو قريباً مـــن ملئها، ثم أقبلت على ربك تائباً نادماً مســـتعتباً؛ لمحاها الله تعالى عنك في لحظة، ولألقى بأثقالها عن ظهرك كأنها لا شيء! ولانتهى كل شيء كأنه لم يكن.

«**قُراب الأرض**» ليســـت معصية أو خطيئة، وإنما خطايا وآثام وذنوب تملأ الأرض أو تكاد! كلها في النهاية لا شيء.

• **في مرات كثيرة نسيء الظن بالله تعالى، ونتعامل معه كأنما نتعامل مـع المخلوقين لا فـرق! يا هذا، ربك فوق تصوُّرك، وأبعد من مدى تفكيرك، وأكبر من كل أوهامك،** ربك يريد لك الحياة، يريـد أن يتوب عليك، ويعفو عنك، ويخلّصك من أحداث السوء ولا يبقي منها في حياتك شيئاً ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧].

ـ هل تصورت رحمة الله تعالـى؟ هل تأملت قدر تلك الرحمة التـي تنتظـرك وألقيت بمشـاعرك فـي مداها؟ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعـراف: ١٥٥]، كلَّ شـيء، لا شيء دون شيء، وإنما كل شيء.

ـ تخيّـل مخلوقاً جاوز حـدَّه في المعصيـة حتى بلغ الإسراف، صنع كل ما يجري في خاطره، ويجول في ذهنه، تنكّر لكل جميل، وأقدم على كل قبيح، وفي النهاية لم يجْرِ على خاطره سـوى هذا المعنى الكبير: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]..

لا تنشـغلوا بجرم خطاياكم، ولا بعدِّها وحصرها، ولا بتصوُّر سـوئها وقبحها، أقْبِلوا على ربكم من جديد، فثمة موعد يلثم جروح تلك السيئات كلها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ

جَمِيعًا ﴾ كل ذنوبكم ليس بعضها، كل أخطائكم وعثراتكم، ليس شيء منها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾.

ـ تحدّث نبيك ﷺ بمشهد مماثل، وقصة تجري في ذات السياق، فقال ﷺ: «**كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذُرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَاباً مَا عَذَّبَهُ أَحَداً. فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ. فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ. فَغَفَرَ لَهُ**!».

غفر له لخوفه منه، ورغبته في النجاة من عذابه! ظن أن النار كما تلتهم الأجساد تلتهم الذنوب ولا تبقي منها شيئاً، حاول الفرار من ربه هروباً من عقابه، صنع ما يقدر عليه؛ فإذا به في لحظة وجهاً لوجه مع ربه: «**مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟**» فلم يزد على أن قال: «**خَشْيَتُكَ يا رب**» فجاء الجواب بلسماً: «**فَغَفَرَ لَهُ**»!.

وفي الحديث القدسي: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**» إن ظن به خيراً كان ذلك له، وإن ظن به سوءاً كان له! فما لك ولظنون السوء؟! وما لك وللأوهام؟!..

* * *



فاذكروني أذكركم

• **هل تخيلتَ يوماً ما أن يجري ذكرك في السماء؟** هل دار في خلدك أن يذكرك الله تعالى ويعيد اسـمك في ملأ السـماء؟ هل تصورت يوماً أن يتناقـل الملائكة صوتك وهمسـك وذكرك فتعج به السـماء؟.. قال الله تعالى في الحديث القدسـي: «**وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَـإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِـي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**».

مجرد أن تتمتم بلسـانك وتردد ذكره فيما بينك وبين نفسك، وتستلهم هذا المعنى في مشاعرك؛ يذكرك الله تعالى في نفسه، وتجري عليك مشـاهد النعيم في ذات اللحظة، ربما تكون لحظتها في زاويـة ضيقة، أو خلوة لا يراك فيها أحد من العالمين، أو في مكان بعيد عن أنظار المخلوقين فيعيد الله تعالى ذكرك.

ماذا لو قيل لـك هذه اللحظة: ربك يذكـرك؟ ماذا لو جاءك هذا الخبر في ساعة بؤس أو ظلام أو حيرة وألم؟..

تخيّل الصورة الأبعد والأجمل والأكبر، تلك التي تذكر الله تعالى في ملأ من الخلق، فيجري الله تعالى ذكرك في ذات اللحظة في الملأ الأعلى!.

تخيّل وأنت في الأرض وذكرك يعلو كل مسافات الكون، ويردد في ملكوت الله تعالى الأعلى!.



أما سألت نفسك وأنت تقرأ مشاهد هذا الحديث: من أنت حتى يذكرك الله تعالى في نفسه؟! من أنت حتى يجري ذكرك في السماء؟! من أنت حتى تجري أحداثك في ملكوت الله تعالى الأعلى؟!..



• تعالَ إلى هذا المشهد الذي يستعلي على صورته، ويسمو في قلبك لدرجة الألق وأنت تقرأ حديث ربك تبارك وتعالى وهو يقول: «**وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**».

حتى الخطوة التي تخطوها إلى عمل صالح؛ تجري مشاهدها في واقعك بأبهج من كل تصوراتك عنها.

أتظن أن ربّاً يحتفي بمشهد طاعة لا يجاوز لحظة، ويرتّب عليه هذه المشاهد الكبرى، أن يعثّر خطوك، أو يصنع عوائق في طريقك، أو يكتب في واقعك شيئاً من البؤس والخذلان؟!..

يا هذا، إن ربّاً يصنع معك صنيعــاً كهذا «**وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**» لا يمكن أن يخذلك أو يحرمك أو يصنع لك ما يسوء.

تفاءل فالحياة أبهج من كل تصوراتك





١٩

إذا أحبَّ اللّه عبداً دعا جبريل





• في الصحيح: من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: أن النبي ﷺ، قال: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْداً دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَاناً فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَاناً فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْداً دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَاناً فَأَبْغِضْهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَاناً فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ**».

إني لأجزم أن هذا المشهد لم يُقرأ قراءة مشاعرية وجدانية حتى الآن! لم يأخذ حظه الكافي من وجدان إنسان بعد! **لو جرى هذا المعنى في مشاعرنا بعمق لصنع فينا الحياة.**

تخيّل اللحظة التي نصدق فيها مع الله تعالى، ونقبل إليه، ونمد في مشاهد طاعته؛ يحدث في السماء ما لا نتخيّله، أو حتى تتوقعه.. الله تعالى، جل جلاله،

وتقدست أسماؤه، وتعالى في ملكه، يحبك، يجلك، يرفعك، يسمو بك من عالم الأرض إلى عالم السماء.

تخيّل هذه اللحظة أن الله تعالى يحبك! ماذا بقي لك من النعيم لم تستكمله؟ ماذا بقي لك من أفراح الحياة لم تبلغه؟ ماذا بقي لك من الدنيا لم تصل إليه؟ لو لم يكن من الفأل في قلب إنسان إلا هذا المعنى لكان كافياً.

تأمّل أن الله تعالى ﷻ ينادي جبريل أعظم خلقه من الملائكة ويأمره أن يحبك، ويجلك، ويرفع مقامك: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْداً دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَاناً فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ**» ..يأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن ينادي في أهل السماء قاطبة: «**ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَاناً فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ**» أهل السماء الذين قال فيهم ﷺ: «**أطّت السماء وحق لها أن تئط؛ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك ساجد لله تعالى**».

كل هذا العالم يغمرك بمشاهد الحب، فلا يبقى في السماء شيء إلا وقد مُلئ بحبك واشتاق إليك!..

ثم ينتقل مشهد حبك إلى كل شيء، قَالَ: «**ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**» فيتحوّل العالم الأرضي إلى مشاهد من الحب والقبول لك، فلا تكاد تجد رافضاً لطلبك، أو واقفاً في طريقك، أو معرضاً عنك، وإنما كل شيء لك وإليك.

«**ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**» فيجري حبه في أنفاس المخلوقين دون عناء، تراه فيلقي الله تعالى أشـواقه بمجرد تلك الرؤية، تلقـاه فتود أنك لم تفارقه، وتشـعر معه بفقه الحب.. تجده فتود أن لو ارتويت من تلك الروح التي تشعر بأنها تجري في فلك روحك ومشاعرك لا فرق، وتسمع به فتشتاق أذنك لخبره، وتزدان مشاعرك لأحداثه، وتظل تسأل عنه حتى تلقى تلك الحياة، وصدق الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦].

• **لعلك تسـأل: ما الطريق إلى هذه القصة؟** ما تفاصيل تلك الحكاية؟ كيف السبيل إلى تلك الفصول الممتعة في حياة إنسان؟..

وسأدع الجواب لربك، هو الذي يحكي لك تفاصيل تلك الحكاية كاملة، قال ﷺ: «**قـال الله تعالى: ...وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَـيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِـلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَـيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**».

حين تعظِّم الفريضةَ، وتحتفي بهـا، وتصنع لها واقعاً بهيجاً في عمرك، وتجعلها أولوية، وترصد لها من مشاعرك وروحك وأنفاسك شـيئاً يجعل لها رواجاً في قلبك؛ تبدأ فصول تلك القصة في واقعك بإمعان!..

فإذا ما أقبلتَ على النافلـة من الصلاة والصيام والحج والعمرة وقـراءة القرآن والأخلاق وفعـل المعروف، بنيتَ لذلك المعنى صرحاً يجعلك في عداد الذي عناهم الله تعالى بقوله في الحديث القدسـي: «**وَإِنْ سَـأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**».



هل تخيلت هذا الوعد: «**وَإِنْ سَـأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْـتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»؟.. كل سـؤالاتك وأمانيك وهتاف قلبك ومشـاعرك، كلها يجيبها الله تعالـى لك، ويجعلها واقعاً في حياتك.

قصة الحب الكبـرى توجب لك أن تَسـأل وتُجاب، تتمنى وتَلقى، تحب شـيئاً ويأتي يتهادى إليك دون عناء: «**وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ**»..

تخيّل في المقابل كل شـيء ترهبـه وتخافـه؛ الله تعالى يتولى ذلك عنك، ويدفع عنك كل سـوء: «**وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**».



لا تقلق من شيء، أو تَخَفْ على نفسك منه، أو تخشَ ضرره وخطره.. الله تعالى سيتولى كل ذلك، ويدفع عنك همومه وأثقاله: «**وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**».. الله تعالى سيتولى الدفاع عنك، سيحميك، سيدفع عنك كل سوء، سيواجه عنك كل مكروه.

فإن قيل لك: الأمر فوق ذلك كله؛ ربك الذي يحبك يتردد لحظة موتك؛ يتردد لأنه يكره أن يسيء إليك بشيء: «**وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**».. الله تعالى يتردد لحظة موتك، لا يريد أن يقلقك ويحزنك ويتعبك ويكدّر خاطرك بشيء.

- **من مشاهد الفأل والأمل التي يبعثها هذا المشهد في حياة كل قارئ لهذا الكتاب: أن حُبَّ الله تعالى، وحصول أمانيك، وشغف روحك، لا يحتاج رسوماً خاصة، أو أعمالاً مكلفة، وإنما يكفي فيه إقبالك على ربك، وإشباع قلبك من طاعته، وتعظيم أمره وإجلاله، ثم يتحوّل كل شيء لك وإليك.**

في مرات كثيرة إذا احتجت شيئاً من مخلوق تحتاج أن تصانعه بأشياء كثيرة، وتتكلّف في طلبه، وتحاول جاهداً أن تأتي برسوم خاصة لبلوغ أملك منه، أمّا الله تعالى فيكفي أن

تبذل الخطوة الأولـى إليه، وتقبل صادقاً فـي الطريق، ثم سيهبك مع الأيام كل شيء.

دعك من كل الذين صنعوا حواجز كثيرة في الطريق إلى الأمل، وبنوا عقبات كبيرة في سـبيل الوصول إلى الفأل، ووضعوا أنفسهم في أضيق المساحات التي يرون منها ومن خلالها نوافذ الحياة.. في إمكانك أن ترى كل شيء، وتعيش أحلامك كما تشاء، وتكتب حظك كما تريد.

آمِنْ أولاً أن الطريق إلى الله تعالـى.. ثم انتظر مباهج الفأل والأمل في أبهج صورها وأعظم معانيها وأكرم مواقفها على الإطلاق.. **ليس بينك وبين الحياة سوى أن تعود إلى الله تعالى لترى كل شيء.**

* * *



أتظنون بأن هذه طارحة ولدها في النار؟

• رأى النبي ﷺ امرأة تضم ولدها إلى صدرها، وتلقي به إلى ثديها، وتحنو عليه حنين أمٍّ على ولدها الضائع بعد أن وجدته في وسط الزحام، فقال ﷺ: «**أتظنون بأن هذه طارحة ولدها في النار؟**» قالوا: لا والله يا رسول الله! قال: «**لله أرحم بكم من هذه بولدها!**».

هل يرد على خاطرك ومشاعرك أن أمّاً لقيت ولدها بعد فَقْدٍ، ورأته بعد ضياع، وأقبلت إليه بعد شوق؛ تأخذه إلى النار، وتلقي به ـ بعد هذا الوجد ـ في لهبها، وتدفع به ـ بعد هذا اللقاء الكبير ـ إلى مشاهد العذاب؟!..

مُد في مشهد هذا الحدث في مشاعرك، وتخيّل: هل يمكن أن تدفع هذه المرأة بولدها بعد لقائه في النار؟! إن كنت لا تتصوّر أن أمّاً تُلقي بولدها في النار بعد مشهد الفرح.. **فاعلم يقيناً أن الله تعالى لا يمكن كذلك أن يدفع بك إلى النار وقد بذلتَ له وفي سبيله كل شيء، لا يمكن أن يعذبك وهو يحبك! لا يمكن أن يدعك الله تعالى لعاديات الزمان ومشاهد الخذلان!..**

• **أتظن بربك أن يعذّب جسداً عَبَدَه، وعيناً بكت له، وروحاً اشتاقت إليه يوماً ما؟! يا هذا كُف عن هذا التصوّر؛** فالله تعالى أرحم بك من هذه بولدها.

لا يدفع بك الخوف والقلق إلى أن تظن بربك سوءاً.. لا تجهد نفسك وتكد خاطرك إلى هذا المعنى.. ربك أعظم وأجل وأرفع من كل هذا! إن كانت هذه الأم لا يتصوّر أن تلقي بولدها في النار فالله تعالى أحلم بك منها على ولدها.

تذكّر خطوك للصلاة كل يوم، وقراءتك لكتابه كل حين، ومالك الذي بذلته في سبيله كل مرة، ومعروفك الذي قدمته لأجله، وحنوك على والديك رعاية لحقه، وعينك التي فاضت في مرات للشوق إليه ورجاء ما عنده.. أترى ربك يرى كل هذا ويعذبك؟! أتتوقع أنه تعالى يشهد كل هذه المعاني ويرقبها في الحر والبرد، والليل والنهار، والصيف والشتاء، والسعة والفقر؛ ثم يشقيك؟! أعد حساب ظنونك جيداً؛ فالله أعظم من كل تصورك، وأكبر من كل حساباتك، وأقدر على كل شيء، وأرحم بنا من كل شيء.

• **تصوّر هذا المشهد ثم ارحل بقلبك ومشاعرك وهمومك إليه، ودع عنك كل أوهام الطريق، وظنون النفوس المتشائمة! املأ قلبك فرحاً، ومد نفسك بمساحات الفأل، وأفِضْ على مشاعرك من أفراح هذا الحدث، وإياك أن**

تحبس نفسك في دوائر الهموم والقلق والتشاؤم والإخفاق حتى كأنك لا ترى شيئاً بهيجاً في مساحتك وواقعك.

إنَّ الهمــومَ الَّتي تَطْــوي مضاجِعَنا
أحــلامُ ليــلٍ قصيــرٍ ثــم تنتقــلُ
تجري الليالي ســريعاتٍ لها عَجَبٌ
أعمارُنــا هكــذا تمضــي وترتحلُ
تبقى المواقــفُ للأجيــالِ تحفظُها
لا يســتوي أبــداً عــالٍ ومُسْــتَفلُ
مَنْ ســارَ بالعــزِّ يســتعذبْ متاعِبَهُ
دونَ الهنــاءِ ابتــلاءٌ بعــدَه أمــلُ

* * *



إنَّا سنُرضيك في أُمَّتك، ولا نسوءُك



• **تذكّر نبيُّنا ﷺ ذات مســاء أمتَهُ، وتذكر أدعية إخوانه الأنبياء، ثم قام يشكو حاجته إلى ربه، ويسأله الرفق بأمته، ويرجوه ألا يرى فينا مكروهاً،** كما في صحيح مسـلم: من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللهِ عز وجل فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ الآية [إبراهيم: ٣٦]، وَقَالَ عِيسَــى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائـدة: ١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «**اللهُمَّ أُمَّتِــي أُمَّتِي**» وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ عز وجل: «**يَا جِبْرِيــلُ، اذْهَــبْ إِلَى مُحَمَّــدٍ، وَرَبُّــكَ أَعْلَمُ، فَسَــلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟**» فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه الصلاة والسلام، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: «**يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ**».



• هذه هي همومه ﷺ: «**اللهُــمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**» يبكي ﷺ لك، ومن أجلك، يبكي ألا يعذبك الله تعالى أو يشقيك أو يكدّر خاطرك ويزيد همومك.. يبكــي ألا تعيش مهموماً

معذَّباً مســخوطاً عليك.. يبكي لنجاتك، يريدك أن تلقى الربيع كما تشاء، وتعيش بهيجاً كما تريد.. فيأتي الجواب بلسماً يداوي الجراح!.

ـ **كان جواب الله تعالى لنبيه ﷺ أملاً** لا يبقي للأحزان شيئاً، **ورحمة** لا تليق إلا بجنابه وجلاله! **وعظمة** لا تليق إلا بملكه وســلطانه: «**يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّــدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ**».

ـ في هذا المشهد يَعِدُ الله تعالى نبيَّه ﷺ: «**إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ**» فتخيّل هذا الوعد من الله، وارقَ بمشاعرك في مدارجه؛ ترى الفأل الذي لا يُبقي من أحزانك شيئاً.

ـ هذا الوعد لك أنت قارئ هــذا الحرف؛ لأنك واحد من هذه الأمة التي وهبها الله تعالى وأمدها وجبر مشاعرها بهذا الوعد الكبير: «**إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ**».

ـ **تخفّف من أحزانك، وقلق قلبك ومشاعرك، وتخلّص من همومك**، فليس في طريقك ومســتقبل أيامك إلا الفرح والفأل والأمل.. «**إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ**».

ـ لا تقلــق أيّاً كانــت خطيئتك ومعصيتــك، ومواقف الفشل والإخفاق في حياتك، وموارد السوء في أيام زمانك، فالله تعالى يملك كل شيء، ويهب كل شيء، وإذا وعد فإنه لا يخلف الميعاد: «**إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ**».

ـ أقم ما بينك وبين ربك بإجلال، وأصلح طريقك في السير إليه، وتخفّف من أثقال همومك، وأحسن الظن بربك، وتخفف في ذات الوقت من قلقك وهمك، وعش متفائلاً في انتظار وعد الله تعالى لرسوله ﷺ وعطائه له: «**إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ**».

* * *



وضوءُك وصلاتُك

• **كم مرة قمت إلى وضوئـــك ولم تحتفل به!** توضأت كما يتوضأ كثيرون ولم تغمرك مشاهد الفرح بهذا الوضوء..

ماذا لـــو أنك حين قمـــت إلى وضوئـــك تذكرت هذا المشهد المشـــاعري الذي يحكيه رسول الله ﷺ: «**إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ ـ أَوِ الْمُؤْمِنُ ـ فَغَسَـــلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَـرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْـــهِ مَعَ الْمَاءِ ـ أَوْ مَـعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ـ، فَإِذَا غَسَـــلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْـــهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَـــتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ ـ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ـ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَـــتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ ـ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ـ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيّاً مِنَ الذُّنُوبِ**».

بمجرد وضوئك انتهى كل شـــيء؛ ألقى الوضوء بخطايا جوارحك كلها في عرض الطريق! حمل تلك الأثقال التي ينوء بها قلبك وخلّصك من أدرانها! أخذ منك بضع دقائق فحسب ثم لم يُبْقِ على ظهرك من أحمال وأثقال تلك الذنوب شيئاً.

تخيّل تلك الدقائق التي تقضيها في مشهد الوضوء ثم تقوم منها وقد انتهى كل شـــيء، انتهت قصة الخطيئة التي حاصرت قلبك بالقلق، ومشاعرك بالأسى، وجسدك بالألم، ألقى بها الوضوء على عارضة الطريق كأنها لم تكن شيئاً.

بضع دقائق فقـــط كافية لأن تصنع مشـــاهد الفرح في واقعك، وتكتـــب حظك مـــن الدارين، وقد كان ســـلفك يدركون هذا المعنى، ويُجلّونـــه، ويقومون بحظه؛ حتى إن الواحد منهم كان إذا قام إلى هذه العبادة أقبل إليها بكليته، ومنحها قلبه، واستشعر كل لحظة يقضيها فيها، ورأى ذلك من تعظيم الله تعالى والقيام بواجبه وإجلال أمره وشرعه.

- **حين تنتهي من هذا المشهد، تنتقل إلى مشهد الصلاة الذي يروي لنا النبي ﷺ فيه مشاهد من الفأل والفرح.**

جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رســـول الله، أصبت حـــدّاً فأقِمْـــهُ علـــيّ. وحضـــرت الصـــلاة، فصلـــى مـــع رســـول الله ﷺ، فلما قضى الصلاة، قال: يا رسول الله، إني أصبت حدّاً فأقم فيّ كتاب الله. فقال ﷺ: «**هل حضرت معنا الصلاة؟**» قال: نعم. قال: «**قد غُفر لك**».

«**قد غُفر لك**» ذهب أثـــر خطيئتك، وانمحى الذنب من صحيفتـــك، وانجلى غباره من قلبك ومشـــاعرك، ولم يبق

شيء من دنسه وسوئه وأثره في حياتك، وعدت مورقاً كما في أيام طاعتك.

«**قد غُفر لك**» فلم يبق منه شـيئاً، تحوّلت تلك الهموم التي تحاصرك، والقلق الذي يطـارد قلبك، والأحزان التي تُحيط بمشاعرك؛ إلى مشاهد فرح، وزال عنك كل شيء ولم يبق في حياتك سوى الأفراح.

مشـهد الصلاة الذي تؤديه ليس عمـلاً تتخلّص به من ثقلها وعبئها وواجبها، وإنما شـيء تتخفّف به من ذنوبك، وتغسل أدرانك، وتغفر خطاياك، وتعيدك للحياة من جديد!..

• ماذا لـو أدركنا هـذه المعاني بوعـي، وأقبلنا عليها بصدق، وعلمنا يقيناً أن فيها الأمل والفـأل الذي يطل بنا على مسـاحات الربيع، ويهب قلوبنا مشاعر الفرح، ويبهج نفوسنا إلى أبعد مدى؟!..

كنْ عن همومِـكَ مُعْرِضاً ... وكِلِ الأمـورَ إلـى القَضَا
وابشِـرْ بخيـرٍ عاجـلٍ ... تنسـى بـه ما قـد مضى
فلـربَّ أمـرٍ مسـخطٍ ... لـك فـي عواقبِـه رضا
ولربَّمـا اتسـعَ المضيقُ ... وربَّـمـا ضـاقَ الفضا
الله يـفـعـلُ مـا يـشـاءُ ... فـلا تـكـن مُـعْـتـرِضـا
الله عــوَّدكَ الجميلَ ... فقـسْ على ما قَـدْ مَضَى

* * *



إن اللّه يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار



• إذا أُلقي في قلبك مشاهد الخطيئة والمعصية والحرمان التي اقترفتها؛ فتذكّر في الوقت ذاته بأن ربك تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده في النهار ليتوب مسيء الليل!..



ليس لله أوقات يتوب علينا فيها، ولا لحظات يجب أن نتحراها، ولا أمكنة يجب أن نذهب إليها لنعلن مشهد التوبة فيها.. كلا! **وإنما في كل وقت وحين**، في الليل والنهار، كما هي في ساعات الفجر والضحى والظهر، هي كذلك في لحظات الليل، لا فرق.

فقط حين تقع في الخطأ استقبله بقلبك ومشاعرك، وأعلن عودتك إليه، وتبرأ من خطيئتك، فلا تنقبض يده تعالى حتى يجري عليك مشاهد الربيع، ويعيدك مؤمناً صالحاً في الطريق.

ماذا لو قيل لك بأن خطأ النهــار لا يُغفر إلا في الليل، وخطأ الليل لا يُغفر إلا في النهار، أو خطأ اللحظة لا يغفر إلا في نهاية الأسـبوع، أو أنك تحتاج شـهراً كاملاً ليغفر ذنبك وتنتهي حوبتك ويسود النهار حياتك؟!.. تخيّل حينها اللحظات الفاصلــة بين النهــار والليل، وبداية الأسـبوع ونهايته، أو انتظار نهاية الشهر وخطيئتك عالقة لم يغفرها الله تعالى لك، تنتظر تمام يومها أو أسبوعها أو شهرها، أو بداية العام ونهايته!.. تخيّل كم هي الظنون والشكوك التي تنتابك وتُخيّل لك أن موتك قبل حلول أملها، ورحيلك من الدنيا قبل الاستعتاب.

لو تأملت هــذا المعنى بحق لعظم هــذا الحديث في قلبك ومشاعرك: «**إن الله يبســط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبســط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل**» لا توجد لحظة فاصلة بين الخطأ والتوبة، بين المعصية والفرح، بين مشهد الحضيض ومشهد التفوّق.. في الوقت الذي تخطئ فيه وتشــعر بالحرمان، يمكن أن تصعد فيه وتشعر بالفرح والحياة، لا فرق.

• لا تحبســك خطيئتك عن أفراح روحك، واســتلهام مشاعر الفأل والأمل في واقعك، ما وقع منك فطرة في جنس بني آدم: «**كل ابن آدم خطاء**».. وإذا عدت صادقاً راغباً فيما

عند الله تعالى ألبســك الله تعالى حلل النعيم: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦].

عادوا للحيــاة فألقاهم الله تعالى فــي النعيم، وأجرى عليهم ســابغ نعمته من جديــد! ﴿ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾.



٢٤

لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه

• غالباً ما يخالط قصة الوداع مشـــاهد الحزن والخوف والقلق، وأكثر قصص الوداع جهلاً بعواقبها قصة الرحيل من الدنيا ولقاء الله تعالى وبداية مشاهد الحساب.. تلك الليلة التي ترحل فيها، وتودع فيها الدنيا، وتلقى فيها ربك، وتبدأ قصة حسابك..

يُذكّرك فيها النبي ﷺ بأن تلقى ربــك وأنت على فأل وأمل: «**لا يموتنَّ أحدُكم إلّا وهو يُحسن الظَّنَّ بربِّه**».

ومن سوء الظن بربك: أن تجد قلَقاً وخوفاً وهمّاً يخالط مشـــاعرك، ويزاحم قلبك، ويقف في طريــق أحلامك في مشاهد الوداع والرحيل من هذه الدار.

• **ماذا لو تذكّر الإنســان** حين حلول المــوت، ووداع الدنيا، والإقبال علــى الآخرة؛ قول الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

(كل شيء) وليس شيئاً عن شيء! وسعت كفره، وردته، وبدعته، وكبيرته، ومعصيته، وكل شيء.. كل ذلك الماضي يكفي الصادق فيه، والتائب منه، والعائد إلى ربه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

• **ماذا لو تذكّر الراحل** في ذات الوقت حديث معاذ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، حين قال له ﷺ: «**ما مِنْ عبدٍ يشهد ألَّا إلٰه إلَّا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، صدقاً من قلبه؛ إلَّا حرمه الله على النار**».

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، قال ﷺ: «**فإنَّ الله حرَّم على النَّار من قال: لا إلٰه إلَّا الله، يبتغي بذلك وجهَ الله**».

وحديث أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**لولا أنَّكم تذنبون لخلق الله خلقاً يذنبون، فيستغفرون، فيغفر لهم**».

وحديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، قال ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديّاً أو نصرانيّاً فيقول: هذا فكاكك من النار**».

وفي رواية: عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**يجيء يوم القيامة ناسٌ من المسلمين بذنوبٍ أمثال الجبال، يغفرها الله لهم**».

بَدَّدَ ذكرُ الموتِ سعادةَ كثيرين، وأودتْ بهم الأمراضُ إلى عالم الأوهام، وكم ممن ودّع هذه الحياة ومشاعر الخوف والقلق تداهم قلبه، وربما أفضت به إلى اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى، **ولو أن هؤلاء قرؤوا هذا الوحي بقلوبهم ومشاعرهم، ومنحوه عقولهم؛ لجرت الحياة في مشاعرهم كما يشاؤون.**

إذا أقلقتك الهموم، وداهمك اليأس، وكرت عليك الأحزان؛ فافتح نافذة على هذه النصوص لترى الفأل الذي تبحث عنه، والأفراح التي تحتاج إليها، والمشاعر التي تود لو أنها جرت في قلبك في زحمة الأحداث.

- **ماذا لو تذكّر الإنسان رحمة الله تعالى، وكمال شريعته**، حتى إنه فرض على الناس واجباً، وحتّم عليهم أن يرعوا حق صاحبهم المؤمن حين رحيله، فيصلُّوا عليه لينالوا بذلك أجراً، ويشفعون فيه يوم القيامة بين يدي الله تعالى بهذه الصلاة، قال ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئاً، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ**».

فإذا ما انتقل إلى قبره لقيته البشائر وهو في الطريق، قال ﷺ: «**إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي**».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

تأمل هذه الصورة، وارعها بمشاعرك، وتخيّلها بقلبك ووجدانك: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.



بُشرى يزفّها الله تعالى لك أيها المؤمن وأنت تودّع هذه الدنيا، ويلقاك فيها بالأفراح، ويذكرك أن مستقبلك أبهج من تصورك، وأعظم من خيالك وتوقعك: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.



• **تخيّل مشاهد الفرح** التي تغمرك في لحظات الرحيل، قال ﷺ: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إلى الجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوه مِنَ الجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِها وطِيبِهـا، ويَفْتَح لَه فيها مدَّ بَصَرَه، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ**».

• **فإذا ما وقفت بين يدي الله تعالى يوم القيامة أدناك الله تعالى منه**، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت

رسول الله ﷺ يقول: «**يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ** ﷻ، **حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَـرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُـولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ. قَـالَ: فَإِنِّي قَدْ سَـتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ**».

- **مشـاهد احتفاء وفرح وبهجة وفأل تغمرك حتى في أحلك ظروفك، وأقسـى ساعات عمرك، وأشـدها أثراً في قلوب أهلك ومحبيك..** فماذا لو تخيلت أن الله تعالى يقول لآخر من يدخل الجنة: «**اذهبْ فادخلِ الجَنَّةَ ولَكَ مثلُ الدُّنيا ومثلُها ومثلُها ومثلُها**»!.

* * *



الله لطيف بعباده





• يحبُّهم ويبرُّهم ويرزقهم، ويدلُّهم على الخير ويعينهم عليه، ويمدُّهم بتوفيقه وهداه، ولا يعسِّر عليهم شيئاً من أمورهم.

يُخطئون في حقه ويصفح عنهم، يُسيئون إليه ويمدهم ويرزقهم، يُشركون به فينتظرهم حتى يعودوا من جديد ثم يغفر لهم!.

• كم من إنسان عاش يتخبّط في الظلام والفوضى زمناً طويلاً من عمره، ثم لطف الله تعالى به في النهاية، وختم له قبل رحيله بمشاهد الإكرام!.

كم من مؤمل للخير عاش زمناً يرقب حلماً ويرجو أملاً، ثم جاءه ذلك الحلم، وغشيته تلك الأفراح، وعاد أبهج ما يكون!.

• لطف الله تعالى بنبيه **يوسف** عليه السلام، فأخرجه من البئر والسجن ليلقي به على كرسي الملك: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٩٩ ـ ١٠٠].

ـ ولطف بنبيه **موسى** عليه السلام عند الميلاد، وفي أحداث قتل القبطي، وما زال به حتى أنقذه من بطش عدوه، وأخرجه من أكثر الأزمات عُمقاً في واقعه: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۞ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦١ ـ ٦٣].

ـ ولطف بنبيه **إبراهيم** عليه السلام، فجعل النار التي تصطلي عليه برداً وسلاماً، وخرج منها لم يصبه شيء: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۞ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۞ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨ ـ ٧٠].

ـ ولطف بنبيه **يونس** عليه السلام، وأخرجه من بطن الحوت في عمق البحار: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ ـ ٨٨].

ـ ولطف بنبيه أيوب عليه السلام، وقد بلغ بــه المرض مداه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤].

ـ ولطف بنبيه زكريــا عليه السلام: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩ ـ ٩٠].





• وما زال الله تعالى يجري لأوليائه من مشــاهد الكرامة والإجلال ما يبهج نفوس المتقين، ويثير مشاعر الفرح والألَقِ في قلوبهم وأرواحهم ومشــاعرهم إلــى حين: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩].

هذه المشاهد التي قرأتها في هذا المعنى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ ليست شيئاً خاصّاً بمن سبق من رسله وأوليائه، وإنما ألطاف ترعى كل مؤمن بعدهم إلى قيام الساعة، وإنا وإياك إن شاء الله تعالى من المؤمنين.

لا تقلق لظروفك، ولا تحزن للعوائق التي تصطف في طريقك، ولا تقنط للأحــداث التي تراها في واقعك: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ وســيجري لك ما أجراه على من سبقك وبذات المعنى، لا فرق.

* * *

٢٦

وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصوها

• ربما كان مريضاً، أو مجهَـــداً، أو يعاني من دَين، أو رَكِبته جملةٌ من الأحداث أثّــرت على فكره، وألقت به في وساوس الشيطان، وربما كان مريضاً بالسكر، أو الضغط، أو غيرها من الأمراض التي تؤدي إلى الشتات في مرات كثيرة بفكر صاحبها، وتلقي به في الأوهام، غير أنه لم ينظر للجهة المقابلة، لم يلتفت لقراءة هذا الوحي بإمعان: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيــم: ٣٤، النحــل: ١٨].. لم يأخذ هذا النصُّ بُعدَه الروحي والمشاعري من قلبه.

اســتغرقه الألم، وضيّقت عليه المشــكلة الواقع الذي يعيشه، وأنسته الهموم ما حوله من مساحات الربيع، فضاق به كل شــيء، ولم يعد يرى زاوية أمل، أو باب فأل، حتى أوشك على الضياع.

• **كثيرة هي نعــم الله تعالى على الواحــد منا، ومهما عرض له في الطريق فستظل هذه النعم هي أكثر من عوارض البؤس التي يلقاها في الطريق.**

عافيتك، وصحتك، وبيتك، وولدك، ووظيفتك.. كلها من نعم الله تعالى عليك: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾.. حتى نَفَسك الذي يتردد في جسدك بعض هذه النعم التي تجري في واقعك ولم تأخذ حظها من الشكر والعرفان.

• **قارن بين ما أعطاك الله تعالى وما حرمك منه! بين ما تجده في حياتك وما تفقده!:**

ـ قارن بينك وبين آخر؛ أنت تمشي، وتذهب للصلاة، وتقضي حاجتك، وتذهب إلى كل مكان، وهو لم يجد قدماً تحمله، ولا جسداً يمكنه من قضاء حوائجه وأعماله.

ـ تأمل نفسك وأنت تجد بيتاً تؤوب إليه، وآخر لم يجد واقياً من برد الشتاء وحرارة الصيف زمناً طويلاً من عمره.

ـ تخيّل أنك معافى في بدنك، آمناً في سربك، عندك قوت يومك وليلتك، وغيرك مشرَّد من بلده، مطرود من أرضه، لا يجد بيتاً يؤويه، أو سكناً يفضي فيه بمشاعره لأحد من العالمين.

ـ ماذا لو أدركت أن أناساً لم يجدوا غداءهم أو عشاءهم، أو لحافاً يرد البرد في قارص أيام الشتاء، أو كنّاً يستترون به في حر الصيف!.

• كثيرة هي أحـداث هذا المعنى فـي واقعك: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾؛ فَلِمَ القلق والألم ومشـاهد الحرمان التي غشيت قلبك ومشاعرك حتى حرمتك مشاهد النعيم؟!.

لِمَ هذا البؤس الذي يطاردك وقد ألقى الله تعالى إليك بنعم لا تعد ولا تُحصى؟!.

إلى متى تظل منزوياً، ويائسـاً، وحزينـاً؛ والأفراح بيـن يديك؟!.

بمجرد أن تُلقي بقلبك فـي هتاف هذا الوحي: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ سـتتضاءل مواقف الحسرات في واقعك، وستنتهي قصة الألم والمعاناة كلها من واقعك!.

* * *



فإنَّ مع العسر يسراً
إنَّ مع العسر يسراً

• يقول أحدهم ذات مرة: كنت عاقّاً لوالدي، مسرفاً على نفسي بالمعاصي، ضالّاً عن الطريق، وبقيت زمناً طويلاً على هذا الحال، وشاركت ذات مرة في رحلة غوص في أحد المسابح، فارتطم رأسي بالجدار فشللت شللاً رباعيّاً، وها أنا على سرير المرض والإعاقة، فعادت روحي ومنّ الله تعالى عليَّ بالاستقامة، وذُقت مشاعر الفرح لأول وهلة في حياتي كلها، وتساءلت حينها: ماذا لو لقيتُ الله تعالى على ذلك الإسراف؟! وماذا لو ودَّعتُ الدنيا وأنا على ذلك الضلال؟!..

كان اليسر الذي أنتظره عمري كله مخبوءاً في تلك المحنة التي أصابتني، والبؤس الذي أحاط بي، والإعاقة التي شُلت فيها أعضائي!.. **ربما تنظر إليّ مشفقاً لذهاب أعضائي، ولكن الحقيقة أني قد أنظر إليك مشفقاً لأنك لم تجد روحك بعد!..**

المفاجأة يا صاحبي أنني أشعر بالفرح يغمرني، والدهشة تلاحقني، والسرور معي في ذات اللحاف كل ليلة لم يفارقني!..

• ماذا لو أخبرك ناجح وصاحب تجربة بهذه القاعدة: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ ـ ٦] وقال لك: باتت هذه من الحقائق والمسلَّمات في حياتي كلها؟!.

ماذا لو وجدت هذا المعنى في كتاب أبان لك كاتبه صحة هذه القاعدة، وأثراها بالقوانين والتجارب عن أهلها وصُنّاع فنها؟!: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

قل لي: ماذا ستصنع بها؟ كم ستمنحها من وقتك ومشاعرك؟ كم ستهب لها من وقتك؟ وكم ستغمرك بمباهجها وتظل تذكرها في مجالسك ومواقفك؟..

تخيّل أن هذه القاعدة لم يقلها ناجح، ولا صاحب تجربة، وإنما قالها العليم الخبير جل جلاله وتقدست أسماؤه!..

• هذه الحقيقة تقول لي ولك: كل عسر يواجهك، أو يعرض لك في الطريق، أو يقتحم عليك بيتك، أو يبعثر لك حياتك أو شيئاً من مشاعرك، فلا تقلق أو تتشاءم أو تبتئس؛ ففي قادم أيامك ألطاف اليسر ومشاهده: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

كل عسر يصيبك فهو محفوف بيُسْرين، يُسْر قبله ويُسْر بعده، ولن يغلب عُسْر يُسْرَين!..

• حين يعرض حادث لولــدك، أو يصاب بمرض أحد أبويك، أو تواجه شُــقة الحياة، وعقبــات الطريق، ووعثاء الطريق، فثمة موعد للفرح، ومساحة للفأل، وأيام للربيع!.. ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

ـ حين أُلقي **إبراهيم** عليه السلام **في العســر**؛ تبــدَّى له ذلك اليُسر: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].



ـ وحين تضاءل الأمل وضاقت الظروف في موقف نبي الله تعالى **موســى** عليه السلام أمام البحر، تنزّل اليسر: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦١ ـ ٦٣].



ـ ويــوم ضاقت الظــروف على **أم موســى**، وكاد جند فرعون أن يأخذوا وليدها من بيتها، جاء اليُسْر: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

ـ هــل كــان يــدري **يوسف** عليه السلام أن وراء البئــر كرســي الملك؟!..

ـ وهل كان يعلم **موسى** عليه السلام أن وراء قتل القبطي وهلع الخوف رسالة؟!..

ـ وهل كان يدرك **محمـــد** ﷺ أن وراء الهجرة والطرد والإبعاد والدماء المتدفقة عز إنســـان ورحلة تاريخ وضياء فجر؟!.. ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

ـ دخلـــوا غاراً يســـتكنُّون من المطـــر، فأطبقت عليهم الصخرة الباب، فأظلم في واقعهم كل شـــيء.. وحين بلغ العســـر بهم مداه، وتقطعت الســـبل من كل شـــيء، وبات الموت قاب قوســـين أو أدنى، فجاء اليسر في صورة خبايا صالحة، فدحرج الصخرة وخرجوا يمشون في الأرض من جديد.. ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

ـ أدرك اليُسر **إبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد إن بلغت الوحشة بقلبه مبلغها: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٤ ـ ٢٨].

بعد أن أخذ الخوف من قلبه ومشاعره مبلغه، والدهشة موقعها، والاســـتغراب مداه، جاء الجواب بلسماً: ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ﴾.

ـ وحين عصفت مشاعر الأسى بقلب **مريم** عَلَيْهَا السَّلَامُ: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ

رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ۝ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ۝ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم: ٢٠ ـ ٢٥].

ـ وحين ضاق على يونس عليه السلام كل شـيء؛ جاء الفرج، وتدلَّى النصر، وحانت سـاعة الفرح، وعاد الفأل من جديد: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الأنبياء: ٧٨ ـ ٨٨].

• سـيصلح حال ولـدك، وسـيتوب الله تعالى عليك، وسيشفى مريضك، وسـتتزوج في قابل أيامك، وستنجب الولد المبارك، وستنتهي قصة دَيْنَك، وستخرج من السجن، وسـتعود لأرضك، لوطنك، لقصة الأمل وفـأل الربيع من جديد!: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾.

ـ عاش أربعين سنة في السجن ثم خرج، وبقي مريضاً عشرين عاماً ثم شفي، وعاش في غربة ثلاثين عاماً ثم عاد إلى أرض الوطن.. كل شـيء ممكن، وكيف يغلب عُسـر يُسرين؟!: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾.

ـ سُجن الإمام **أحمد** رحمه الله تعالى، وجُلد حتى تهتَّك جسده، ثم عاد إمامَ أهل السُّنَّة والجماعة، ذهبت آلام الضرب والسجن والظروف الصعبة البائسة، ثم عادت أيام الحياة حتى رحل من الدنيا!: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

• **كثيرة هي الأسر الفقيرة التي اغتنت بعد جوع، وعدد من الناس صَحّوا من المرض بعد يأس، وتوظف أناس بعد طول انتظار، وأنجبت امرأة ولداً بعد عشرات السنين..** ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

يجري هذا المعنى حتى في سفرك، ووقت مشقتك، ومرضك، وعسرك، فتقصر صلاتك، وتفطر في سفرك ومرضك، وتنيب في حجك وعمرتك: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

فتباح الضرورات، ويجوز للإنسان في العسر ما لا يجوز في غيره، وقاعدة الفقهاء: إذا ضاق الأمر اتسع. فدينك أيسر ممَّا تتوقع، وأبهج ممَّا ترى، وكلما ضاق أمر اتسع من جهة أخرى.

* * *



وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم

١

• كره **صحابةُ رسول الله ﷺ** الخروج إلى بدر، وكانت نصراً مؤزراً في النهاية، وردّاً لتلك الأيام الخوالي التي لقي فيها صحابة رسول الله ﷺ العذاب والنكال!: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۞ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۞ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٥ ـ ٨].



خرجوا للقافلة ولم يخرجوا للقاء الحرب: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

لم يكونوا يدركون أن هذا الخروج هو الأصلح والأحسن والأكبر تأريخاً في حياتهم مطلقاً، وكتب الله تعالى لهم ما أراد، وأجرى لهم تعالى مشاعر الفرح والحياة

في القرار الــذي كانوا يكرهونه ولا يريدونه في شــيء!.. ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

• كرهت **أم سلمة** رضي الله عنها موت أبي سلمة رضي الله عنه، ورأت أنه لم يعد في الدنيا خيــر بعد رحيله، ولمّــا عُرض عليها أن تقول: «**اللَّهم أْجُرْني في مصيبتــي، واخلف لي خيراً منها**» قالت: ومــن خير مــن أبي ســلمة؟! فعوضهــا الله تعالى برســول الله ﷺ، وأصبحــت زوج رســول الله ﷺ، وأمّــاً للمؤمنين، وتأريخاً في الدارين!.. ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

• تقدَّما للمنافسة على وظيفة واحدة مرموقة، وشأنها عظيم في الواقع، ولكنه لم يرشح، فحزن وتألم لفوات ذلك الحظ الكبير من واقعه، وبعد زمــن جاءته وظيفة أرفع منها وفرصة أحســن وأكثر أثراً وموقعاً، ولو ذهب لخياره الأولى لفاته كل شيء.. ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

كان يظن أن تلك المسابقة هي كل شيء، وكان يكره أن تفوت عليه تلك الفرصة، وفاته أن الله تعالى يُهيِّئ له شيئاً آخر أكثر ألَقاً وجمالاً وأثراً!.. ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

ـ لا تَبْنِ آمالك على شيء لم يكتبه الله تعالى لك، الخيرة كلها فيما اختاره الله تعالى لك ولو لم تجد له موقعاً في قلبك.

ـ تأكد أن الله تعالى إذا صرف عنك شيئاً فقد رتّب لك شيئاً آخر لم تكن تتوقعه، وقد يكون الخيار الأمثل، والقرار الأحسن، والرأي الأقوم؛ ألّا تكون في ذلك الشأن من أصله، فاحمد الله تعالى على خيرته، وتذكّر دائماً: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

• كانت خياره الأول والأخير في الزواج، وأقبل عليها بقلبه ومشاعره، ولم يعد يرى سواها في الحياة، وحين تزوجها كانت هي مضّ الحياة وقلقها ومصدر شقائها والخرق الذي لم يُرقع، حتى ودع الدنيا كلها! قيل له قبل ذلك: لو استخرت واستشرت! فقال: تلك خيارات في المجهول، أما هذه فأعرف كل شيء عنها، فإما هي وإلّا الموت.. وكانت هي الخيار الأسوأ في حياته كلها.. ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ـ مشكلتنا التي نواجهها في كل مرة أننا نختار أولاً ولا نفوّض أمرنا إلى الله تعالى! نصنع أجواء الحب ولا ندع خياراً آخر تملؤه الاستخارة والاستشارة.. نجعل إرادة الله

تعالى آخر شيء، فنقع حينها في المشكلات والأزمات في مستقبل الأيام، ونبقى متحسِّــرين في النهاية وقد فات كل شـــيء.. ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

* * *





وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم
٢

• تقدمتُ ذات مرة لمسابقة، وكنت أرى أنه لا بديل عن هذه المنافسة، وأن ذهابها من عمري خسارة لا يعدلها شيء، ولم أترشّح لها في النهاية، وتكدّر خاطري، ورأيت حينها أن تلك من الفرص التي لا تتكرر، وأن فواتها فوات لأكثر الأحداث فألاً في حياتي القادمة، وبعد أيام يأتي الله تعالى بفرصة أعظم منها وأقرب وأيسر وأحسن، وعرفت فيما بعد أنني لو ترشــحت للفرصة الأولى لترتب عليها ما لا أريده، وليس من مشروعي، وأن من أكبر فوادح تلك الفرصة الفائتة أنها لو جاءت لأجهزت على هذه الفرصة الأخيرة التي هي عندي لا يعدلها شيء.





وعلمت حينها أن الخيرة فيما يختاره الله تعالى، وأن آخر الآية هو بلسم الحياة الذي يجب أن يكرر على قلوبنا ومشــاعرنا كل حين: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

• **إذا فاتتك فرصة، لا تتألم على فواتها، أو تتحسّر على عدم تحققها، أو تتكدّر أنها لم تكن من نصيبك، تذكّر دائماً أن الله تعالى لم يُقدّرها لك لطفاً ورحمة بمشاعرك، ورعاية وجبراً لخاطرك، وفألاً وأملاً لحياتك.**

لو هيأ الله تعالى لك ذلك الخيار، وأدار لك ذلك الشأن، وأعانك على بلوغ تلك الأمنية؛ لكانت هي القلق والشعث والألم الذي لا يفارقك في مستقبلك وأيام عمرك ولكنه لطف بك فمنعك منها وأمضَّ قلبك في البداية ليفتح له آفاق الأفراح في النهايات.

القادم المؤجل أجمل لك ألف مرة من خيارك المعجل، والفرصة التي ستهيض الأفراح على قلبك قد قطعت منتصف المسافة في الطريق إليك، وقريباً يقرع بابك فأل الأمل، وتجري مساحات الربيع في كل شأن من شؤونك: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

• خطب رجل امرأة، واتفقا على تفاصيل الفرصة القادمة كاملة، وتعلّق قلبها بذلك الحلم، ورأت أن الحياة كلها في ذلك الزواج، وصنعت لليالي الفرح القادمة كل شيء، ثم اختلف مع والدها في قضية يسيرة قرر معها ترك ذلك المشروع من أصله، وبحث عن خيار آخر، وتزوّج

وانقطع كل شــيء، وبقيت تبكي أياماً وتتحسّر على فوات ربيع أيامها، وذهاب حظها وموت مســتقبلها، وما هي إلا أيام حتى جاء لها صالح فتزوجهــا، وحلمها الأول تعرّض لحادث في الطريق وقضى عمره أو يكاد بين مستشــفيات العالم بحثاً عن العلاج!..

أراد الله تعالى ألا يفجعها بحوادث الزمن، وألا يكلها لرعايــة مصالحهــا، وأن يختار لهــا الأنســب والأصلح والأحسن، وهي اليوم متزوجة ولديها أسرة وتعيش سعادة وراحة واستقراراً لا تقدر بثمن: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.



* * *



٣٠

وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ٣

• تخرَّج من الثانويــة بمعدل ممتاز، ثــم توجه لكلية الطب، وكان يراها هي المستقبل والخيار الأمثل، وبقي فيها أربع سنوات، ثم طُوي قيده وعاد إلى بيته وقد ذهبت أربع سنوات من عمره دون شيء.

أخذ أوراقــه من جديــد ليتقــدم إلى جامعــة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية الشريعة، ويبدأ رحلته وأول خطواته طالباً في مســاحات تلك الجامعــة، وتخرّج منها بتقدير عالٍ وتوظف قاضياً!..

أراد هو أن يكون طبيبــاً، وأراد الله تعالى له خياراً أمثل وأفضــل، أراد الله تعالى له أن يكون طالــب علم وصاحب مســؤولية، فصرفه عن أمنيتــه الأولى، وعثّره فــي الطريق لا ليحزنه أو يســيء إليه أو يكدّر خاطره ويضيع مستقبله، وإنما لينقله إلى مساحة هي أكثر فألاً وأملاً، وهو اليوم رأساً في الخير والفضيلة، وقد ساهم وما يزال في مد مساحة هذا

الدين بـكل ما يملـك، وفأل خيـر على أهلـه ومجتمعه ومسـاحته: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

• قال أحد القضـاة ذات مرة: صليت الفجـر كالعادة، وعدت إلى بيتي وأفطرت، ثم تهيأت وودعت زوجي وذهبت إلى عملي، وبينما أنا أقلب في أوراقي إذا بأحد العاملين في المحكمة يناولني خطابـاً من البريد، ففتحته فـإذا به ورقة الفصل، فضاقت الدنيا في وجهي، وتكدَّر خاطري، وحزنت حزناً شديداً، وتمنيت أن لو قدّر الله تعالى بغير هذا!..

تفاجأت زوجي بي وأنا أطرق الباب في غير الموعد التي كنت آتيها فيه، ثم عرفت الخبر، فألقت بنفسها بكاءً وحيرة، وأخذت من مشـاعري ما أخـذت، وكنت حينهـا متزوّجاً باثنتين، وعليَّ دَيْنٌ مقداره (ثلاث مئة ألف ريال) حالّة!..

وأخذت مشاعر الحسرة تسيطر عليَّ لدرجة كبيرة جدّاً، وهموم الديون تلاحقني، وقضاء حوائج أسـرتني تطاردني في كل مكان؛ فما أصنع في واقع ليس فيه خيط واحد من خيوط الأمل والفأل؟! وفاتني أن الله تعالى يُجري في قدره ما لم يكن لي في الحسبان.

سـمع بخبري أحد الأحبة وكان محامياً، فقال لي: لم لا تأتِ إلينا ونرى لك شـيئاً يعينك؟.. فمضيت إليه، فقال

لي: يمكن أن تكون محامياً، وثمة قضايا كثيرة تحتاج إلى رأيك وقلمك وشيء من وقتك، ولعلها تدرُّ عليك ما ترجوه، وهذه قضية معروضة لدينا وأمرها بسيط جدّاً، خذها وابدأ بها الطريق.

يقول: وفي ظرف أسبوع أستلم مقابل هذه القضية التي أنهيتها ذات مبلغ الدين الذي عليّ من سنين (ثلاث مئة ألف ريال)، فسددت ديني كله، وبدأت عملي متفائلاً، ففتح الله تعالى عليّ ما لو بقيت في القضاء عمري كله ما برحت ظروفي ولا تخلصت من همومي وديوني، **وفاتني أن ذلك الفجر هو فأل الحياة، ولحظة تسلُّم خطاب فصلي هو بداية رحلة العمر الكبرى**، ولو بقيت عمري كله ساجداً أدعو لمن فصلني ما أوفيتُه الجميل الذي صنع فيّ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

• سمى الله تعالى صلح الحديبية فتحاً مبيناً: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وقد مُنع فيه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام من دخول مكة، وكانت شروط قريش مجحفة للغاية..

لما وصل سهيل بن عمرو، قال للنبي ﷺ: هاتِ، اكتب بيننا وبينكم كتاباً. فدعا النبيُّ ﷺ الكاتب، فقال: «**اكتب:**

بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما ندري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللَّهم. ثم قال: «**اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله**» فقال سهيل: فوالله لو كنّا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فقال النبي ﷺ: «**على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به**» فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنّا أُخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل.. فكتب.



فقال سهيل: على ألَّا يأتيك منّا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، فقال المسلمون: سبحان الله، كيف يُرد إلى المشركين، وقد جاء مسلماً؟!..



فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سُهيل في قيوده قد خرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين ظهور المسلمين، فقال سُهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليّ. فقال النبي ﷺ: «**إنّا لم نقض الكتاب بعد**» فقال: فوالله لا أصالحك على شيء أبداً. فقال النبي ﷺ: «**فأجزه لي**» فقال: ما أنا بمجيزه لك. قال: «**بلى فافعل**» قال: ما أنا بفاعل. قال مِكرز: بل قد أجزناه لك.

فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين، أُردّ إلى المشركين، وقد جئت مسلماً، ألا ترون ما لقيت؟!..

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، ألست نبي الله حقّاً؟ قال: «**بلى**» قلت: ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل؟ قال: «**بلى**» قلت: علام نُعطي الدنية في ديننا إذاً، ونرجع ولم يحكم الله بيننا وبين أعدائنا؟ فقال ﷺ: «**إني رسول الله، وهو ناصري، ولست أعصيه**» قلت: أولست كنت تحدثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: «**بلى. أفأخبرتك أنّك تأتيه العام؟**» قلت: لا. قال: «**فإنّك آتيه ومطوّف به**» قال: فأتيت أبا بكر فقلت له كما قلت لرسول الله ﷺ، وردّ عليّ كما رد عليّ رسول الله ﷺ سواء، وزاد: فاستمسك بغرزه حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق، قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً.

وفي النهاية نزل قول الله تعالى مباركاً هذا الصلح، مثنياً عليه، مسمّياً إياه (فتحاً مبيناً): ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

- **لهذه المعاني والألطاف التي قرأتها، ومساحات الفأل في قدر الله تعالى، استقبل كل قادم بالفرح، وارضَ بما قسم الله تعالى لك**، ولا تبتئس لموعد لم يأتِ في حينه، ولا لخبر لم يصدق صاحبه، ولا لوعد لم يحقق تلك الآمال التي كنت ترقبها من أزمان طويلة.

يــا صاحبَ الهــمِّ إنَّ الهــمَّ مُنْفَرِجٌ
أبْشِــرْ بخيــرٍ فــإنَّ الفــارجَ اللهُ

اللهِ يُحْــدِثُ بعــدَ العُسْــرِ ميســرةً
لا تَجْزَعَــنَّ فــإنَّ الكاشــفَ اللهُ

إذا بُليــتَ فَثِــقْ بــاللهِ وارضَ بــهِ
إنَّ الذي يكشــفُ البَلْــوَى هو اللهُ

والله مــا لــكَ غيــر الله مِــنْ أحدٍ
فحســبُكَ اللهُ فــي كلٍّ لَــكَ اللهُ

* * *



إنّ الله كتب الحسنات والسّيئات

• في الصحيحين: من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عز وجل، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**».

- **تخيّل هذا المشهد الرحماني الكبير!** مجرد همك بالحسنة تكتب في سجلات حسناتك حسنة! مجرد المحاولة، والنية الصالحة، ومشهد الحياة الجميل كافٍ في تدوين أثرٍ صالحٍ في عملك، وحبرٍ يشهد لك بالآثار الصالحة في الدارين: «**فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**».

- لم يبرح سريره، ولم يفارق مكانه، ولم يخطُ خطوة واحدة باتجاه عمل يكاثر به في ميزان الحسنات، ويملأ

صحف الأعمال بالخيرات، مجـرد همه فقط كان كافياً في كتابة الخير.. فإن تَحرَّكْتَ من مكانك، ورسـمت مشـهد العمل، وكتبت حكاية التفوّق في واقعك، وتغلّبت على كل الظروف التـي تحيط بك، تجلّى المشـهد عـن أضعاف ما تعمل: «**فَإِنْ هُـوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْـرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ**».



ـ **من المشاهد المدهشـة في الحديث**: أن العمل الذي تقدمه لا تُجازى عليه بالعدل، وإنما تجري عليه مساحات الفضل والإكرام: «**فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ**».

ـ حين تقوم لمشهد الصلاة، أو تصوم يوماً في سبيل الله تعالى، أو تتوجَّه للعمرة، أو تفتح مصحفاً للقراءة، أو تمد يدك للسـلام على أخيك، أو تبتسـم في وجهه، أو تخدم محتاجـاً، أو تعين مسـلماً، أو تخلق بيئـة إيجابية؛ فتلك اللحظة لا تكتب حظك من العمل فحسـب، وإنما تجري مساحات الفأل في واقعك إلى أبعد مدى: «**فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ**».. فما الشـأن حين تغيث مسـكيناً، أو تأخذ بيده، أو ترعى يتيماً، أو تقوم على أرملة، أو ترد موارد الفضل والإحسان في حياتك كل يوم؟!..

ـ فإن نويت السوء، وأبطنت الشر، ورصدت المخالفة، وتهيّج قلبك على كل قبيح، ثم تركت ذلك، وتخليت عنه لله تعالى ولم تعمله؛ تحوّلت تلك النية إلى خير وبر وفضل، وكتبها الله تعالى لك حسنة كاملة: «**وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**».

ـ تخيّل تلك الليلة التي رسمت فيها كل شيء، ودبّرت فيها كل أمر، وجهدت أن تجري فيها فوضى الدهر، ثم تخليت عنها في ساعة ندم وتركتها لله تعالى، حينها تتحوّل كل مشاهد السوء التي أديرت إلى معروف وبر وخير، وكانت بعد ذلك حكاية في الحسنات وطريق فأل للنجاة: «**وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**».

ـ أخذ حقيبته وجمع مالاً وسافر لا يريد غير المعصية، وكانت مسافة الطريق كلها حديث عن مشاهد الضلال والفسق ومساحات الفوضى، فلما بلغ مقصده ووصل إلى مكانه، وألقى بهموم سفره؛ تذكّر الله تعالى في أرض الغربة، وقام في قلبه مشهد الإيمان، فتخلى عن كل شيء، وسأل الله تعالى العصمة من الضلال والفساد، فجرت عليه موارد الخيرات: «**وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**».

بمجرد توقفك عن العمل، وتخليك عن مشهد المعصية، وتنازلك عن قضية الضلال، وتركك لما في قلبك

تتهادى إليك الحسنات، وترســـم في واقعك مشاهد البشر والفأل من جديد.

ـ ثم ماذا لو أنــك فعلت كل ما ســبق، وأجريته على مرادك، ولم تتخلّ عنه، وأصررت على مشاهده كلها؟.. هو في النهاية لا يعدو أن يكون مجرد ســيئة: «**فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**» واحدة فقط!..

رغم ســوء نيته، وعظيم غفلتــه، ورداءة فعله، وعظيم جرمه، ومشاهد الفوضى كلها في سيئة واحدة.. واحدة فقط!.

ـ أما مشهد الحســنة، والنية الطيبة، والعمل الصالح، والخطو إلــى مباهــج الحياة فيســتحق فيــوض الكرامة والإجلال: «**فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْــرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ**».

• فإن قيل لــك: تخيّل حين لا تصر علــى المعصية، وتُقبل إلى ربك، وتُحســن نيتك، وتُغيّر واقعك؛ يتحوّل ذلك الركام والطين إلى مشاهد فرح وفأل: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقــان: ٧٠].. حينهــا يمكنــك أن تتخيّل المشهد في كامل صورته، وأجمل مشاهده، وأرق وأعذب صوره في واقعك.

* * *



ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها

• إذا فتح الله تعالى لك باب رحمة؛ فلا ممسك له، لا موصد لبابه، ولا مانع له، ولا واقف دون قضائه وقدره: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢].

وإذا أقفل الله تعالى عنك باب رحمته، وأمسك عنك فيوض توفيقه؛ فلا تنتظر إلا الحسرات: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢].

ـ إذا كتب الله تعالى لك شيئاً فلا راد لفضله، ولا ممسك لقضائه وقدره، ولا مانع لإحسانه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾.

وإذا صرف عنك فضله، وأمسك عنك توفيقه، فلو أجْلَبْتَ بخيلك ورجلك على شيء منها ما بلغت منها شيئاً، ولم تنل منها إلا الندم بعد الفوات: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾.

ـ هو الذي يهب قلبك الفرح، ويلبسك ثوب السعادة، ويكتب لك مشاهد الكرامة، وليس للإنسان من ذلك شيء: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾.

ـ إذا أصابك فيض رحمته تعالى؛ ألقى بك في مشاهد الحياة، وأجرى على قلبك مشاهد النعيم: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾.



وهو الـــذي إذا طردك من رحمته؛ ضاقـــت بك الدنيا، وتكدّر خاطرك، وســـاءت ظروفك، وتعلّق كل شـــيء في منتصف الطريق أو أوله، ولم تنل مـــن حظوظك وأمانيك شيئاً: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾.

ـ حتى لو كنت مسجوناً أو فقيراً أو مطروداً: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾.. حتى لو كنت عقيماً بلا ولد، ووحيداً بلا زوج، ومعدماً بلا مال، وفرداً بلا قبيلة ولا عون: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾.

وإذا أمسك عنك رحمته؛ فلو كنت حرّاً طليقاً، وموسراً واجداً، ومتزوجاً ومنجباً وموظفاً؛ ما أغنت عنك شيئاً: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾.

ـ إذا فتح لك رحمة؛ أجرى لك مالاً، وسدَّ عنك ديناً، ويسّر لك وظيفة، ورزقك الله تعالى زوجاً صالحاً: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾.

وإذا أمسـك الله تعالى عنك رحمتـه: تحمَّلت ديوناً، ولقيت في طريقك عسراً، وشقت عليك الأيام، وضاقت بك الأرض بمـا رَحُبَتْ، حتى لا تكاد تجد لـك طريقاً: ﴿وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾.

• وجد هذه الرحمة **إبراهيم** عليه السلام في لهب النار، ولقيها **يوسـف** عليه السلام في عمق الجـب، وداخل السـجن، وقابلها **موسى** عليه السلام في عرض الطريق، وعاشها **محمد** ﷺ في مكة وهو يـؤذى ويرمى ويدمى ويطـرد: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَا﴾.

ـ وجدها **الإمام أحمد** رحمه الله تعالى وهو يلقى صنوف البلاء ومُر الأيام، وعلقم الأحداث، ولم تُفلـح كلها مجتمعة في دفع ذلك الفتح الـذي أفاضه الله تعالى عليه فـي تلك المحن: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَا﴾.

ـ وجدها **ابن تيمية** رحمه الله تعالى وهو يواجه أعتى الخصوم، وعاشها في سـجن القلعة رغم ظروف المكان والزمان: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَا﴾.

ـ وجدها **أبو هريرة** رضي الله عنه وهو لم يجد بيتاً يسكنه، ولا طعاماً يأكله، وكان يسـقط مراراً من الجـوع وينفث عليه الصحابة بسورة القرآن يرقونه من الجن، وما أسقطه سوى الجوع: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَا﴾.

• **إذا فتح الله تعالى لك باب رحمة؛ لم يضرك أحد في الأرض، وتصاغر من حولك، وأصبح قلبك جبلاً أمام ظروف واقعك وتحديات مكانك:** ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾.

وإذا أمسك الله تعالى عنك رحمته؛ لم يكفك ما في يدك من المال، ولا ما في قلبك من الحب، ولا ما في مشاعرك من الحياة، وصرت محتاجاً لكل شيء: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾.



إذا أمسك الله تعالى عنك رحمته؛ تعاظم المخلوق في قلبك ومشاعرك؛ حتى ليخيّل إليك أن رزقك بأيديهم، وتجري تلهث وليس لديك سوى السراب: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾.

- إذا فتح الله تعالى لك رحمته؛ زانت زوجك في عينك، وازدحمت مشاهد الجمال في بيتك، وقرت عينك بولدك، ورضي قلبك بكل يسير يؤتيه الله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾.

وإذا أمسك الله تعالى عنك رحمته؛ شعث قلبك، ولم ترضَ بزوجك، ولم تأنس بولدك، ولا تجد سعادتك بوظيفتك، ولا ألقاً في طريقك، ولا يكاد يشبعك شيء،

وتجري كل يوم ولست واجداً شيئاً يسعدك في عمرك كله: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾.

ـ تراه يضحك بملء فيه، وتملأ السعادة قلبه، وتجري شجون الفرح في مشاعره، وهو لا يملك مالاً، ولا سكناً، ولا ولداً؛ ذلك لأنه أصابه رحمة الله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾.

ـ يمنحه الله تعالى العلم فيبني به مباهج الحياة فيمن حوله، ويكتب به حظوظ كثيرين من خلاله، ويسعد به العالم، ويبني به مجد الدارين: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾.

ـ أعطاه الله تعالى ولداً واحداً فأعلى ذكره، وبسط ربيعه، ووسّع أثره، وأجرى له الحياة في كل مكان، وكان أمة لوحده: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾.

في حين جعل لآخر جموعاً من الولد لم يغنوا عنه في شيء: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾.

ـ سجنوه، وأوقفوا ماله، وفصلوه وسدوا عنه كل باب ليشقوه، وفاتهم أن الله تعالى فتح له من ذلك الباب من أمانيه ما يكفيه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾.

وآخر وظَّفوه، وقرَّبوه، وأجلوه، وفتحوا أمامه كلَّ شيء، ولم تغنه عن لوعة قلبه وشقاء نفسه وموت مشاعره: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾.







أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله

• **الحسد يقوّض سـعادتك، ويبعثر مشاعرك، ويجلب لك القلق!..**

لا تلتفت لما في أيدي الآخرين، ما لديك من السعادة والراحة والطمأنينة لا يعدله ثمن!..

عوّد قلبك ألَّا يلتفت لحطام هـذه الدنيا، وتذكّر وأنت ترى شيئاً من مباهجها قول الله تعالى الذي تقرؤه كل أسبوع في يوم الجمعـة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

الغبطة التي يجب أن تغمرك مشاهدها، وتأخذ حظها من قلبك ومشـاعرك ؛حين ترى عنـد الآخرين شـيئاً يتعلّق بالآخرة، ويسمو فوق ملاهي هذه الحياة: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**».

هذه المشاهد تستحق الغبطة، وتحتاج إلى سباق القوم في مدارج الفلاح والتوفيق.

ـ حين ترى من أعطاه الله تعالى مــالاً وعلماً ويكاثران بها في الخيرات؛ فأنِخْ مطايا قلبك ومشاعرك وجهد جسدك في تلك الرحاب، ولا تبقي من عزمك شــيئاً: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسُــلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**».. وما عدا ذلك فقلبك ومشاعرك أجل من أن تهفو إلى شيء منها!..



ـ لا تكترث بما حولك مــن مناظر ومباهــج الحياة، يكفيها هذا الوصف الرباني لحالها في النهاية: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠]..



كذا هي: ﴿لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾؛ فلا تعلّق لبك بفراغ، ولا تضيع نفسك في تتبع سراب.

ـ **الحياة أكبر من التهافت على مشاهد فانية زائلة لا قيمة لها في الحيــاة الحقيقية**، حتى عينك لا تبســطها في هذه المشاهد فيشــتاق إليها قلبك وتدنو لها مشاعرك، وتذهب روحك في سراب لا قيمة له في مستقبل أيامك: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ

عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١].

ما تراه من مشاهد الإغراء إنما للفتنة والابتلاء فحسب: ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

ومثلك يبغي ذلك المعنى الكبير: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾..

طمّن قلبك، وارضَ بما قسم الله تعالى لك، واقصر عينك عن مشاهد كثيرة؛ تعشْ سالماً من القلق والاضطراب، ولا يَفُتْ عليك شيء!..

ـ ماذا لو قرأت هذا المشهد قراءة مشاعرية: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٨٥].

• كم من شقي بماله وولده! وكم من متحسّر على ذلك!.. ثمة آباء لم يعرفوا طريق المحاكم والشُّرَط إلا حين جاء لهم أبناء صنعوا لهم قلقاً وشتاتاً وفتنة، فلا هم الذين سعدوا بهم، ولا هم الذين سلموا من شرهم وأذاهم!..

وقُلْ مثل ذلك في المال، يملكون أموالاً كثيرة لا يمكنهم حصرها، ولكنهم جوعى لمشاهد الحياة؛ لم

يستطيعوا أن يغيثوا بها أجسادهم، فضلاً أن يغيثوا مشاعرهم وأرواحهم!.. كثير من تلك الأموال من ربا وتطارد صاحبها اللعنات!.. وبعضها من غش وخداع، وأخرى من مال المسلمين العام، ولو سلمت من كل ذلك فإنها إما تذهب في دعم حرام، أو مكنوزة لا تفي لصاحبها بشيء! ومثلك لا يفوته مشهد الحكمة منها، وأنها قسمة الله تعالى لحِكَم تجل عن الوصف: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].



• **الحسد يقوّض أفراحك، ويزهدك في نعمك، ويجهض مساحات الفأل والأمل في قلبك، ويخلق في مشاعرك النزاع كل مرة، ويجعلك مغموماً مهموماً في كل حين.**

• هب أن هذا من النعيم الذي فاتك؛ فإن الدنيا ليست دار جزاء، وإنما الأصل فيها الابتلاء والعمل، وما ينتظرك في الآخرة أعظم وأجل من كل الصور التي رأيتها يوماً في واقعك، قال ﷺ: «**لَمَوْضِعُ سَوْطِ أحدِكُمْ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**».

وقال ﷺ: «**إِنَّ في الْجنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ عامٍ لا يَقْطَعُهَا**».

وتحدّث نبيك ﷺ عن آخر مؤمن يدخل الجنة، وفي الحديث: «.. **وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ.. فَلا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ، فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: يَا رَبِّ قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، وَيْلَكَ ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو.. فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيُعْطِي اللهَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ، فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، وَيْلَكَ يَا بْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا، فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى، حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الأَمَانِيُّ، فَيَقُولُ لَهُ: هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ**».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: (وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً)..

فإذا كان آخر الداخلين للجنة هذا نصيبه منها، فما لغيرهم من خيرات ونعيم؟!..

• دعك من كل ما تراه في أيدي الآخرين، ومساحاتهم، وأقبل على تدبّر نعم الله تعالى في واقعك، واعلم أنك في نعيم لا يحصيه إلا ربك، وفي الحديث: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوقَكُم، فهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعَمَ اللهِ. عَلَيْكُمْ**».

* * *











لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً



• مهما بلغت ظروفك مع زوجك، وطال زمن الجدل، وكثر الخلاف، واتسعت رقعة النزاع في حياتك، فلا تعجل على قرار طلاقها وفراقها: ﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ [الطلاق: ١].

ـ قال لي ذات مرة: بقيت زمناً طويلاً وأنا أنتظر جميلاً من ولدي، أو فضلاً منه يعود على كبري، وأوشك بي اليأس على سـيئ الظنون، ثم أعادهم الله تعالـى إليّ من جديد، وصنعوا لي ما لم أكن أتصـوره أو يدر في خلدي يوماً من الأيام: ﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾.

ـ ضل عن الطريق، وهام على وجهه زمناً طويلاً، وأضاع من عمره دهراً، ثم أقبل من جديد يصنع حظه، ويكتب مجده، ويبني قصته، ويدفع بأمانيه، ويجهد في بناء أشواقه، حتى بلغ منها مداه وفأله وأمله: ﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾.

• عاش **عمر بن الخطاب** رضي الله تعالى عنه جباراً في الدنيا، ضالّاً عن الطريق، بعيداً عن الهداية، حتى قال النبي ﷺ مشتاقاً

متمنياً: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بأحد العمرين**» ثم جاء في النهاية وصنع للإسلام كل شيء: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

ـ وظل **خالد بن الوليد** رضي الله عنه يديل المعارك على المسلمين، وصنع يوم أُحُد مجد الكفر وسفك دماء الكبار، ثم عاد في النهاية سيفاً من سيوف الله تعالى: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

ـ ولم يسلم **أبو سفيان** إلا يوم فتح مكة بعد أن كان عوناً للكفر ورداء للباطل، ثم عاد مؤمناً صافياً: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

• **لا تعجل على هداية ولدك، وصلاح زوجك، وبناء فكرتك ورسالتك.. ابذل السبب، واجهد في بلوغ أمانيك من ذلك، ثم انتظر فواتح التوفيق:** ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

لا تحكم على إخفاق مشروعك، وفشل فكرتك، وضياع جهدك، وعدم تحقيق أهدافك، فالأيام القادمة، والأحداث المنتظرة، ومباهج الحياة، قد قطعت نصف مسافة الطريق إليك: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.





قل اللهم مالك الملك





• **لا تبتئس لحالات الظلام التي تراها في واقعك**.. لكل الذيــن يعبثــون بالمنهــج ويقوّضــون عرى هــذا الدين، ويجهدون في تشويه الطريق؛ يومٌ يأتي فيه موعد الخلاص، ويدفعون فيه ثمن تلك الفوضى وأثر ذلك الظلام.

إن الله تعالى يدير شأن الكون، ويحكم هذا العالم، ولا يجري فيه إلا ما أراد: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

هو الذي يعطي الملك وهو الذي ينزعه، هو الذي يهب التوفيق وهو الذي يمنعه، مالك الملك جلَّ في علاه يجري ما يشاء، كيف يشاء، في الوقت الذي يشاء، لا راد لقضائه ولا جابر لكسره..

• خــرج **النمــروذ** زعيــم الضلالــة أمام رســول الله **إبراهيم** عليه السلام محاجّاً مجــادلاً معارضاً باغيــاً للكفر صادّاً للحق، فكانت نهايته من أسوأ النهايات.

ـ وأعلن **فرعون** قائلاً: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

وتاهت أحلامه حتى قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨].

ومضى في الطريق: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١].



وبعث الله تعالى إليه **موسى وهارون** عليهما السلام، وأوصاهما بالرفق معه، واستنفدت كافة الوسائل في هدايته، فأبى إلَّا الضلال، فأخذه الله تعالى ولم يفلته: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠ ـ ٩٢].

ـ مد الله تعالى **قارون** بمال كانت مفاتح خزائنه تنوء بالعصبة أولي القوة من الرجال: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].



فبغى وطغى، وتجبر وتكبر، فكانت النهاية: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٨١].

ـ وحكى الله تعالى عن **أمم تجبرت وطغت وتكبرت**، فألقى الله تعالى عليها أمره: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ٦ ـ ١٤].





إن ربك لبالمرصاد

• ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ١٤] لمن تجبَّر وطغى وتكبَّر، ولكل من سار على ذات الطريق وقرر ذات المنهج.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ للبغاة أفراداً كانوا أو جماعات، دولاً كانوا أو أمماً.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ لكل من ظن يوماً أنه سيجري حكماً يناقض حكم الله تعالى، أو يجري ظلماً في الأرض يعارض به منهج الله!..

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ للظلَمة والمعرضين والمفسدين في كل زمان ومكان!..

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ وعيد لا يتخلّف عن طغاة الأرض وعصاة الطريق ولو طال زمانهم، وكثر بغيهم، وزاد ضلالهم في الأرض.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ فلا تقلق نفسك لما تراه، سيأتي يوم النصر، وسيعود الفرح، وستجري علينا مشاعر الفرح من

جديد: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].



• كم هي الصور التي غَشِيَتْ سمعَك وبصرَك في زمانك الذي تعيش فيه عن هلاك الظالمين في أسوأ مشاهد الحياة على الإطلاق! ذهبوا جميعاً ولم يبق منهم أحد!: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا﴾ [مريم: ٩٨].

* * *



فسيكفيكهم الله



• ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧] أفراداً كانوا، أو أمماً، أو دولاً، أو مجتمعات!..

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ حتى لو كانوا يملكون أسلحة العالم الحضاري كلها!..



﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ لأنهم بعض خلقه وعبيده ومماليكه!..

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ كما كفى غيرك من الأولين والآخرين!..

• كم مرة مرضت وسقمت وتعبت! كم مرة ألقت عليك الحياة بظروفها وأسقامها وأوجاعها وأحداثها المُرة!..

وكم مرة في المقابل ألقيت بهذه الأوجاع والأمراض والأسقام والأحداث إلى ربك! كم مرة قلت: يا رب! كم مرة تجلّت السماء في وجهك وألقيت بمشاعرك وقلبك إلى ربك ومولاك!..

كم مرة عرضوا عليك كل شـــيء وقلبــك يهتف بربه، ويناجي إلٰهه، ويسأله أن يبعث له الشفاء!..

كم مرة كانت الأسباب المادية مجردة عن توكل قلبك، ومشاعرك، ولم تكن سوى مجرد أســباب، وأقبلت صادقاً لا تريد إلا الله، وكررت في دعائك: (يا رب).



(يا رب) ليست هذه التي نكررها بألسنتنا، وإنما تلك التي تجري بها قلوبنا ومشاعرنا.. ليست تلك التي نتخلّص بها من هذا المعنى الشــرعي، أو تلك التـــي نريد أن نقنع أنفسنا يوماً أننا ســـألنا الله تعالى بها، وإنما تلك التي حين نقولها نعتقد أننا نفلق بها باب السماء، ونأتي منها على كل أمانينا في الحياة كما نشاء.



- كم مرة شعر الذين من حولك أن داءك وعلاجك من الله تعالى لا فرق! في مرات كثيرة تغيب عنا هذا الحقيقة: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧].

الله تعالـــى وحـــده هـــو الـــذي أمرضك، وهـــو الذي سيشفيك.. هو الذي أسقمك، وهو الذي سيبرئك: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٢] **فهذه عقائد المهتدين!..**

• إذا دهمك المرض، وألمَّ بك البلاء، وغشيك السقم؛ فتذكّر: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾..

توجَّه إلى ربك بقلبك ومشاعرك وهتاف روحك وكل ما تملك من شوقك وفألك: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢]..

تذكّر أن الذي أمرضك هو الذي قال لك: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]..

بمجرد أن تتوجه إليه وتسأله وترجوه؛ يتنزّل عليك كل شيء، هذا وعده، ومن أصدق من الله قيلاً؟! ومن أصدق من الله حديثاً؟!: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾..

حتى حين تذهب للطبيب امنحه جسدك، أما قلبك ومشاعرك فاجعلها لله تعالى، ابذل بها سبب الحياة، ولا تجعل إلى قلبك سبيلاً إلا لله!..

تيقن وأنت بين يدي طبيبك وفي أضيق أوضاعك وأحلك ظروفك أن الذي يشفي ويعافي وينجي هو الله، وما عدا ذلك مجرد أسباب، والشافي هو الله!: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾.



٣٨

بشِّروا ولا تنفِّروا ويسِّروا ولا تعسِّروا

• كان ﷺ إذا بعث أحداً داعياً أوصاه بهذه الوصية، وألقى في قلبه فأل الأمل: «**بشِّروا ولا تنفِّروا، ويسِّروا ولا تعسِّروا**».

ابعثوا في قلوب الناس ومشاعرهم الحياة! يكفي ما هم فيه من أحداث وأمراض وضغوط وظروف، أفيضوا عليهم بشارات الأمل والفأل، وألقوا على قلوبهم السلام!..

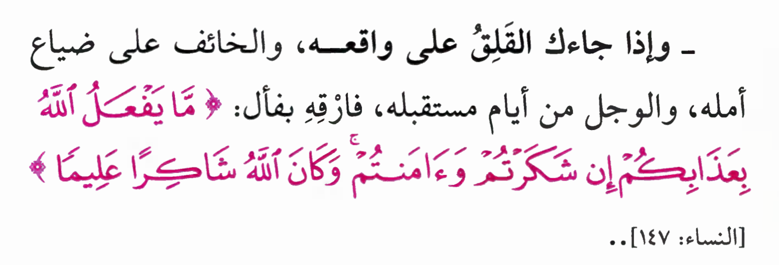
ـ **إذا ألقيت على قلب إنسان بشارة**؛ فقد ألقيت على مشاعره الفرح، وأعظم الأعمال عند الله: «**سرورٌ تدخلُه عَلَى قلبِ مسلمٍ**».

حين قال أبو ذر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه! قال ﷺ: «**تلكَ عاجلُ بُشْرى المُؤْمِنِ**».

ـ **إذا جاء الواقع في الذنب**، الخائف من العقوبة، المقبل على الله تعالى بعد ندم، فقل له: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

واتــلُ عليــه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].





ـ **وإذا جــاءك المثقــل بهمومه**، والســائل عــن تعثّر مشروعه؛ فانفخ في روحه بشارات الأمل.. «**واللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ، حتَّى يَســيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخافُ إِلَّا اللهَ وَالذِّئبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّــكُمْ تَسْتَعْجِلُون**»..

ـ **وإذا جاءك القَلِقُ على واقعــه**، والخائف على ضياع أمله، والوجل من أيام مستقبله، فارْقِهِ بفأل: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]..



• **لا تيئس من طول طريقك، وتأخُّر أحلامك، وتثاقل خطوات مشــروعك.. آمِنْ أن يوماً سيأتي بالفرح وستلقى كل أحلامك!..**

عاش نبيُّك ﷺ على فكرته ومشروعه ورسالته وقضيته ثلاثاً وعشــرين عاماً، وفي النهايــة ألقــى الله تعالى إليه ببشارات الخـتام: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١ ـ ٣]..

• **وبعض المصلحين خرج من الدنيا ولم ير أثر جهده ومشروعه وأنفاسه.. ثم أفاض الله تعالى عليه بعد ذلك الذكريات!..**

بعض الكتب لم تلق رواجاً، وبعض الجهود لم تلق قبولاً، وبعض الأنفاس لم يكتب لها حظ الشهرة؛ فلما ودع أصحابها الدنيا، ورحلوا من الحياة، وجرت عليهم سنن الموت؛ جرت فيها الحياة، وسقى الله تعالى بها قلوب المنتظرين، وكان رحيله مادة تلك الجهود ووهج روحها في دنيا الذكريات!..

• **إذا لقيت طفلاً فألْقِ عليه شيئاً من هذا الفأل..**

وإذا رأيت **مشروعاً** فباركه بكلمة طيبة ورأي حصيف..

وإذا وجدت **باحثاً** عن وظيفة فذكّره بأن لطف الله تعالى سيدركه، وسيجري عليه النعيم..

وإذا رأيت **مريضاً** فذكّره أن الله تعالى أحبه وسيعود صحيحاً مُعافًى مع الأيام..

وإذا رأيت **متشائماً** فاحتسب على تشاؤمه حتى تجري عليه فيوض الأمل، ويعود صحيحاً متفائلاً من جديد.

* * *



الولد الأعمى

• قال لي يوماً: عدتُ من سفري على موعد مع الفرح، نفست زوجي وأنجبت لي ولداً، أقبلتُ إليه أحمل مشاعري وأتوق إلى رؤية حلمي الذي طالما انتظرته مع الأيام، وحين قَبّلته كانت المفاجأة (ولدي أعمى)..

ضاقت بي الدنيا، وتحول السرور إلى حزن، ومشهد الفرح إلى ترح، وتمنيت أني لم أره! وما أصنع به!..

وتمضي الأيام ويكبر الولد، ويدخل حلقة تحفيظ القرآن الكريم، وتبدأ قصة الفرح من جديد..

تفوّق الأعمى وصار أنموذجاً في الإبداع، فبدّل مشاهد الأحزان إلى أفراح، وأحاديث اليأس إلى مشاعر وجد.

حفظ القرآن، وشارك في المسابقات المحلية والدولية، وحاز على مراكز متقدمة، ورقى بوالده مراراً على مسرح التكريم والتفوّق والإبداع، وما كانت قدم والده لتطأ على مسرح تكريم لولا هذا الأعمى!..



من رَحِم المعاناة تولد الحياة، وتأتي الفرص في عمق المأساة، ويولد الفجر من جديد بعد غسق الظلام.

كم من فجر كان ينتظر أفول الليل! وكم من مشاهد فرح لم تكن تحتاج سوى بضعة أيام!..





• قال ﷺ: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ؛ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ. أو قال: أَهْلَكَهُم**».

«**فَهُوَ أَهْلَكَهُمْ**» على رواية النصب: هو الذي أهلكُهم، وهو صانع شؤمهم، والغائر على أفراحهم ومباهجهم.

وعلى رواية الرفع: «**أَهْلَكُهُم**» هو أشدهم هلاكاً، وأكثرهم سوءاً، وأقبحهم واقعاً!..

تعلّم ألا تبتئس من واقعك، ولا تتشاءم من مساحتك، ولا تلقي على الناس بعارض يكون عثرة في الطريق.. تفاءل.. وما لك وللأحزان؟!..

• أقبل يهودي على النبي ﷺ، فقال: السام عليك. أي: الموت. فقال: «**وعليك**» فقالت عائشة رضي الله عنها: وعليك السام واللعنة والموت. فقال: «**يا عائشةُ، ما كانَ الرِّفْقُ في شَيْءٍ إِلَّا زَانَه، وما نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَه**».. ارفقي يا عائشة، فالحياة أيسر من غضبك، وأخف من أحزانك، وأبلج من تبرمك.

قالت: أفلا سمعت ما قال يا رسول الله! قال: «**بلى، وقلت: (وعليك) إن كان سلاماً أو ساماً!**».

كثيرون مرضوا أو كادوا من الحزن، والتشاؤم، وسوء الظن، وما زالوا يقتلون أنفسهم ألف مرة كل يوم.

• حين لقي النبي ﷺ جد سعيد بن المسيب، قال له: «**ما اسمك؟**» قال: حزن. قال: «**بل أنت سهل**» قال: والله لا أغيّر اسماً سمانيه أبي. قال ابن المسيب بعد زمن: فما زالت الحزونة فينا بعد!..

وحين أقبل سهيل بن عمرو في صلح الحديبية، قال ﷺ: «**سهل أمركم**».

وكان ﷺ يحب الفأل، ويُسَرُّ بالكلمة الطيبة، وتعجبه الأسماء الحسنة، ويكر على كل قبيح بالتغيير.

ستنجح في عملك ودراستك ومستقبلك، وستكتب حظك الكبير في أيام مستقبلك.. سيشفى مريضك، وستتعافى من آلامك، وستعود لأرضك، وللطريق الذي حنَّ لقدمك، ولمسجد الحي الذي اشتاق لمكانك وأثرك.. ستعود لقاءات الأحباب، وسنروي معاً قصة الذكرى من جديد.

سيهتدي ولدك وإن طال طريق البعد، وسيأتي يوم وهو يتهادى للأفراح!..

لا تقلق!..

لا تيئس!..

لا تحزن!..



فالله معـــك؛ يرى ظرفك ومشـــاعر الحــزن في قلبك، ويسمع أنينك وشـــكواك، وهو القادر على أن يكتب الفرح فيما بقي من عمرك.



• ثمة أصوات تبعث على التشاؤم، فالثموها بالاستعاذة من الشياطين: «**وَإِذَا سَــمِعْتُمْ نُهَاقَ الْحِمَارِ مِنَ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَاناً، فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ**»..

وأصوات تبعث على الفرح والفأل، فســلوا الله تعالى من فضله، قال ﷺ: «**إِذَا سَــمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ مِنَ اللَّيْلِ، فَإِنَّمَا رَأَتْ مَلَكاً فَسَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ**».





فكأنما حيزت له الدنيا

• ما خبرك؟ ما وظيفتك؟ هل تجد بيتاً تسكنه؟ أو مالاً تستثمره؟ أو شيئاً تأكله؟..

لعلك تسأل: ما معيار الحياة السعيدة؟ ومتى أكون فرحاً مبتهجاً مطمئنّاً؟ وما حدود الفأل والأمل التي نجد فيها رواء الحياة؟..

• التفتَ ذات مرة إلى بيت صديقه، فرأى قصراً، فبقي محزوناً ما بقي عمره، وخرج مرة أخرى بزوجه، فالتفتت هي كذلك فقالت: لمن هذا القصر؟ فقال: لصديقي. فقالت له دون شعور: استطاع أن يجد الحياة ويُسعد أهله، وما زلنا في قعر القاع، غفر الله لك وسامحك!..

وامتد به الألم، وعاش مهموماً مغموماً..

فاتها في هذا المشهد أن الحياة لا تُقاس بهذه المشاهد، ولا تُرى بهذه العيون، ولا تعاش بهذه الثقافة.

الحياة الحقيقية حياة الأرواح، وكم من شـقي بقصره، ويكدح كل لحظة في همومه وديونه!..

• بنى بيتاً مثيراً للعجب، وعاش مطـارداً بالديون، وشرى سيارة فخمة، ويعيش همومها كل لحظة.

جلب كل مباهج الحياة الظاهرية، وما زال تائهاً عن المعنى الكبير.. إنها حياة القلوب.

مشـهد الفأل والفـرح والبهجة ليسـت هـذه الصور والمشـاهد التي نراها في الطريق، ولا تلك التي تقيّم في الظاهر.. مشهد الحقيقة كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ أَصبحَ مِنكُمْ مُعَافًى في جَسَدِهِ، آمِنًا في سِـرْبِهِ، عِندهُ قُوتُ يَومِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيْزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**».

عافية الجسـد، وأمنك في بيتـك وأهلك، وقوت يومك، وانشراح صدرك ومشاعرك؛ كافية للعيـش بألـق ما بقيـت الدنيا.

• كثير من المشـهورين الذين اعتلوا خشبات المسرح وأطربوا الجماهير، وصفقت لهـم جموع كثيرة، وانتظرهم الناس في عرض الطريق، ووقّعوا لهم، وتصوّروا معهم.. لم يجدوا وسيلة في النهاية للتعبير عن آلام قلوبهم ومشاعرهم إلا الانتحار ووداع الدنيا!..

• دعـم أحد التجار جمعيـة لتحفيظ القـرآن الكريم، وحضر مشهد تكريم الحفاظ، وتحدّر الدمع من عينيه حين رأى تلك المشاهد لأبنائه وهم يكرمون، وقال: تمنيت هذا المسـاء أن يذهب مالي كله وأحفظ هذا القرآن! وما أصنع بالمال وأنا أرى مشـهد الحياة الغامر في حفظ هذا الوحي وترديده في كل لحظة من حياتي.

• كان الآخر يرى مشهد الحياة في زواج ملكة الجمال، وجهد فـي الطريق بـكل ما يملـك، ودفع عمـره وماله ومشـاعره، ثم تزوجها.. ولم يتجاوز الشـهر الأول حتى طلّقها! وكان يقـول: ما لقيتـه في هذا الشـهر من الآلام والأوهام والوساوس ما لم أجده في حياتي كلها! وأدركت الآن أن السعادة شيء آخر مختلف في كل شيء.

• عشـت في بداية حياتي العملية وكيلاً في مدرسـة، وكنت أرقب كرسـي الإدارة بشـوق، وأتمنـاه كما أتمنى الحياة، كان منظر ذلك الكرسـي، وازدحام الزملاء وتقدير المدير، ومنظر السـيادة يدفعني بشـوق.. ثـم ذهب مدير المدرسة لدورة، وجاءت فرصة الأحلام التي كنت أنتظرها، وحين دخلت عمقها، وجرّبت أحداثها، وخضت غمار تلك الحقيقة؛ أدركت أنني كنت أعيش في وهم، وتمنيت بكل ما أملك أنه لم يقع لي من ذلك شيء.

كنت فـــي إدارتي وعلى ذلــك الكرســـي الكبير، كان صوت الطلاب في فصولهم لعدم دخول المعلم إليهم كافياً في جلب الشــعث والهم والقلق للدرجــة التي كان يدخل عليّ بعض الزملاء ويكلمونني، ولا أســتطيع الرد إليهم، مشغول بتلك الفوضى التي أخذت مني كل شيء.



كنت أعــود إلى بيتي محمَّــلاً بالهموم، وإذا أمســكت بكتابي تبدت لي صورة زميل تناقشنا أنا وإياه نقاشاً حادّاً في مصلحة الطلاب، فلا أنا الذي استطعت أن أقنعه بفكرتي، ولا هو الذي تقبّل مني، وخرج ساخطاً غاضباً، وما زالت صورته تطاردني في كل صفحة من كتابــي، ولا أملك حينها إلا أن أرمي بالكتاب وأستقبل هموم ذلك المساء حتى حين آخر.

عشت فصلاً كاملاً تمنيت أنني لم أخُضْ فيه قصة هذا الوهم، ولا جربت هــذه التجربة، ولا منّيت نفســي منها بشيء، ولكن الحياة تجارب.

عاد المدير فألقيت له بهموم إدارته، وغشاني نوم تلك الليلة حرمته زمناً من حياتي!..

وعشـــت بعدها ما بقي من عمري ســـالماً من تبعات المسؤوليات، وعُرضت عليّ أشياء كثيرة وفي مواقع مهمة.. وآليت ألّا أخوض غمار تلك التجربة مرة أخرى حتى اليوم، وأرجو أن ألقى الله تعالى خالياً من تبعاتها!..



• **عاش أبو هريرة** ﷺ **في** مؤخرة المسجد ضمن جموع كثيرة من أهل الصفة الفقراء الذين لا يملكون بيوتاً، وعاش يسقط مراراً من الجوع في عرض الطريق، حتى إن الصحابة يقرؤون عليه يظنون بأنه ممسوس من الجن، وكان يقول لهم: والله ما أسقطني إلا الجوع!.. وعاش سعيداً من أبهج الناس، عاش لفكرة ورسالة ومنهج وعقيدة، وما زلنا في كل مرة نترضى عنه ونعيد ذكره وندفع بهمومه وسنظل ما بقيت الحياة.

• **الحياة باختصار: هي هذه الحكمة التي لا تأتي إلا من الوحي: «مَنْ أَصبحَ مِنكُمْ مُعَافًى في جَسَدِهِ، آمِنًا في سِرْبِهِ، عِندهُ قُوتُ يَومِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيْزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»!..**

* * *

٤١

ما بالك باثنين اللّه ثالثهما!

- **إذا دهمتك الظروف والمشكلات، واشتدت عليك الكرب والأحداث، وضاق طريق مستقبلك، وتقلّصت مساحات الممكن لديك، فلا يتسلل اليأس إلى قلبك، والحزن لمشاعرك، والوهم لقلبك..**

تفاءل وتذكر في ذات الوقت قريشاً وهي تضع أقدامها على الغار الذي فيه الطريدين، عجزت بقدرة الله تعالى أن تصل لشيء!..

قلق **أبو بكر** رضي الله تعالى عنه، وقال: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدمه لرآنا. فقال ﷺ: «**ما بالك باثنين الله ثالثهما؟!**».

المسألة ليست قضية نظروا أو لم ينظروا، وصلوا أم لم يصلوا؛ المسألة أبعد من ذلك بكثير: «**ما بالك باثنين الله ثالثهما؟!**».

- **ليمتلئ قلبك يقيناً أن شيئاً أراده الله تعالى يكون، وشيئاً لم يرده لا يمكن أن يكون!..**

طارد فرعونُ موسى عليه السلام وقومه حتى وقفوا على شفير البحر، فطارت أفئدة الصالحين، وغلبهم ما يرون على وعد الله تعالى للمؤمنين، فقالوا ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١].

وفاضت لحظتها قضية الإيمان والعقيدة في قلب رسولهم عليه السلام، فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

فتحوّل حينها البحر إلى أرض صلبة، ومشهد يابس، وجف حوله كل شيء، وذهب يمشي في الأرض التي لم تنشف وتيبس إلا تلك الساعة من الزمن عبر التاريخ كله، ثم عادت كما هي أول وهلة بعد حين.

• **لا تستبطئ فرج الله تعالى وإن طال انتظاره، وتعلّم أن للقلوب عبادة، هي اليقين، لا يجوز بحال أن تفارق قلبك، أو تنأى عن مشاعرك ولو كان الأمل ثقب إبرة!..**

تعلّم كيف تعلّق قلبك بالله تعالى، وتيقّن حينها أن الله تعالى صانع للفرح موعداً، وكاتب للربيع حيناً!..

- تعلّم فأل **يعقوب** عليه السلام حين فقد ولديه يوسف وبنيامين، ولم يفارقه الأمل والفأل لحظة: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وقد قال ربك في الحديث القدسي: «**أنا عندَ ظَنِّ عبدِي بي، فليظنَّ عبدِي بِي ما يَشَاء**».

ـ تيقَّن أن وعْدَ رسول الله ﷺ بالغ مداه، قال ﷺ: «**ليبلغنَّ هذا الأَمْرُ ما بَلَغَ اللَّيلُ والنَّهارُ، بعزِّ عزيزٍ، أو بِذُلِّ ذليل، عزّاً يعزُّ الله به الإسلام، وذلّاً يذلُّ الله به الكفر**».

ـ لا تبرح هذه الحقيقة الكبرى في كتاب ربك: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥].

واعلم أن الله تعالى ناصر دينه: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]..

ومُعلي أولياءه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣].

وقال ﷺ: «**لا تزالُ طائفةٌ مِنْ أمَّتي قائمةً بأمرِ اللهِ، لا يضرُّهم مَنْ خَذَلَهُمْ أو خَالَفَهُمْ، حتَّى يأتيَ أمرُ اللهِ وهُمْ ظاهِرونَ عَلَى النَّاسِ**».

• **دين الله تعالى لا يحتفل بالباطل، ولا يقيم وزناً لعدوه مهما بلغ شأنه في الأرض**، وكل المحاولات التي

تراها في واقعك لطمس هويته، ونســف قيمه، واستبداله؛ لا تعدو أن تكون كقول الأُوَل:

كناطــحٍ صخــرةً يومــاً لِيُوهِنَهــا
فلــمْ يَضِرْهَــا وأوْهَى قَرْنَــه الوعِلُ

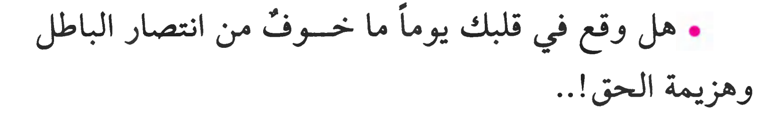
* * *







والله غالب على أمره



• هل وقع في قلبك يوماً ما خــوفٌ من انتصار الباطل وهزيمة الحق!..

هل جرى في مشــاعرك القلق للدرجة التي يئست فيها من نصر الله!..

ما حجم الخوف والقلق والاضطراب الذي يداهم قلبك ومشاعرك على دين الله تعالى ومنهجه!..

إذا بلغت بك مشاعر الهزيمة الروحية إلى هذه الدرجة فاسْـقها من حـادي الوحــي: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ حتــى لــو ازدحمــت جحافل الباطل على الأبواب وكانت تملك كل شيء!..

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ حتى لو سنت الأنظمة الظالمة قوانين الكفر والفسق والضلال!..

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ حتى لو أخذ الباطل وأهله بناصية الدول والأمم والمجتمعات وملكوا كل شيء!..

ـ عاش المسلمون في باكر الدعوة صنوف العذاب والحرمان، حتى قال قائلهم: ادعُ الله لنا يا رسول الله، استنصر لنا. فقال ﷺ: «**وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَـذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَ، والذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**».. ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾.

ـ وصف الله تعالى حال المؤمنين، وحال رسله وما أصابهم في حقبة من الزمن: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ١١٠].. ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾.

ـ وقف النبي ﷺ على الصفا في بداية دعوته ودعا قريشاً، وقام أبو لهب أشأمهم تأريخاً، فقال لرسول الله ﷺ: تبّاً لك ألهذا جمعتنا؟!..

وما زال الإسلام من تلك اللحظة التي وقف فيها رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا وهو يزيد ولا ينقص، ويكثر ولا يقل، ويتوسع ولا يضيق!.. ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾.

ماذا لو خرج أبو لهب وأبو جهل وصناديد قريش الذين عارضوا الدعوة في باكر عمرها ورأوا مشاهد الحج والعمرة في ربوع الديار التي وقفوا دون ظهور الحق فيها؟!.. ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾.

• إذا أمضَّك اليأسُ، ورأيتَ فلول المنكر تعيث في الأرض فساداً؛ فتذكر: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

واسْقِ قلبك من حادي الوحي: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

ـ عاش نبيُّ الله نوح عليه السلام ألف سنة إلا خمسين عاماً وهو يدعو أمة معرضة مناهضة لفكرة الحق، معارضة لدين الله تعالى، وفي النهاية أجرى الله تعالى عليهم سننه وأيامه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡر۪ىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۞ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۞ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ۞ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٠ ـ ٤٤].

ألف ســنة وهو يطاردهم للحق، ويحاول فيهم للحياة، وهم يرفضون كل شــيء، ويأبون كل شيء، ويصنعون كل شــيء، وفي النهاية أجرى الله تعالى عليهم سنته وجعلهم درساً للتأريخ، وعبرة في الحياة!..

ـ لا تجزع أو تحــزن أو تقلق، فقد أوصــى الله تعالى رســولك ﷺ: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٢٧].



وليكن في يقينك هذا المعنى الكبير: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾ [آل عمران: ١١١]..



وتحلَّ مع كل هؤلاء بتلك الوصية الكبرى لنبيك ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ [المزمل: ١٠].

حتى وأنت تهجرهــم لا تَقْسُ في هجــرك.. اهجرهم هجراً جميلاً لا أذى فيه ولا شكوى منه!..

* * *



فألقيه في اليم

• رأى فرعون رؤيا في المنام، وأوّلت على أن أحد أبناء بني إسرائيل سيجتثون دولته ويأخذون ملكه، ويُلقون به في الضياع! فقرر أن يقتل كل مولود في مهده، وألا يبقي منهم أحداً على قيد الحياة أو يستقبل شيئاً من أمانيها، وأراد الله تعالى أن يجري قدره ويكتب مراده ويذيق فرعون جزاء إعراضه وضلاله.

بدأ جند فرعون يدخلون البيوت، ويحصرون الحوامل، ويرقبون ميلاد كل طفل ثم يقتلونه ويتخلصون منه، وينتهون من تلك الرؤيا التي تطارد زعيم القوم ورئيس الضلال.

ولد موسى عليه السلام في هذه الظروف؛ فما الحل! كيف سيحمي الله تعالى هذا الطفل من هذا الطغيان! تنزّل أمر الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧].

﴿فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ تصوّر هذا الأمر، وقارنه بشجون أمٍّ، تخيّل مشاعر أمٍّ يُلقى إليها أن ترمي ولدها الرضيع في لجج البحر، وتنتظر أن يعود!..

﴿فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ تأمَّل هذه الصورة وامنحها مشاعرك وقلبك، وتخيّل لو قيل لك: ألقِ بولدك في خزَّان ماء، فكيف يقال لأم: ﴿فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾؟!.

لو أنك منحت قلبك ومشاعرك هذه الصورة، فأَجْزِمُ أنك لا تستطيع تجاوزها فضلاً على أن تتعرّف على الأحداث التي سيقصها المشهد بعد ذلك الحين، المسألة أعظم وأكبر من تلك الصورة، يريد الله تعالى أن يلقي الدرس بصورة أبلغ وأعظم مما يتخيّل فرعون وأعوانه.

أراد الله تعالى أن يتولى فرعونُ تربية عدوِّه بنفسه، ويقوم على رعايته ليتأهل وبقوة على تبديد ملكه، وإزالة عرش تلك القوة من الأرض، فأمر البحر أن يلقي به في قصر عدوه: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨].

وألقى في قلب زوج فرعون حُبَّه حتى يكتمل المشهد وتضبط أحداثه في واقع الحياة: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ

عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص: ٩].

تصوّر خطة فرعون وقدرة الله تعالى، قارن بين الصورة التي يريدها فرعون والمشهد الذي يديره الله تعالى له؛ كان فرعون وبكل ما يملك يبحث عن عـــدوه ليقتله، وأراد الله تعالى أن يدخل إليه عدوه، وأن يتولى هـــو تربيته وتأهيله وإعانته لقصة المشهد القادم بإتقان!..





بقي الســـؤال الكبير: ما يصنع الله تعالى في قلب تلك المكلومـــة؟ كيف يعـــود الولد إلـــى أحضان تلـــك الأم؟ ما الطريق إلى حلم يشـــبه أن يكون مفقوداً بالكلية؟.. فاتنا جميعاً أن الفقد لنهاية المشهد تجري في حياة الناس، أما الله تعالى فيجري ما لا يخطر لي ولك على بال! صنع سبباً يجبر فرعون أن يعيده ويســـلي أمه: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۞ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص: ١٢ ـ ١٣].

هذا الطفـــل ـ الذي ألقـــى الله تعالى علـــى قلب زوج فرعـــون حبه ـ يبكـــي؛ يبحث عـــن قلب مفقـــود، وحنان مسروق، ولحظات وَجْد وحنين لا يجدها فيمن حوله..

جاؤوا إليه بكل المرضعات، ولكن أنّى يأتي غير مراد الله تعالى في الكون: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾.

وعاد من جديد إلى الحضن الـذي فقده، والثدي إلى فُطر عليه، والدفء الذي كان ينشده: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسٓ: ٨٢].



حتى تعلم أم موسى ويعلم العالم كله أن وعد الله تعالى لا يتأخر البتة، ويأتي في ذات الموعـد لا يتخلّف مطلقاً: ﴿فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.



تصوّر المسـافة الفاصلة بين موسى الرضيع، وموسى رسـول الله! تأمل في هذا البون الشاسـع بين المسافتين، وانظر ماذا أجرى الله تعالى فيه من أقداره! **هل تظن يوماً أن لك حاجة لا يقضيها الله تعالى! أو وعداً لا يأتي في حينه! أو أمراً لا يجريه فوق العادة؟!..**

- **تفاءل، فالنصر قادم، وما تـراه فـي واقعك جولـة مـن جولات الباطل مؤذنة بهزيمـة كبرى، وغداً يأتـي الفجـر، ويتجلّى النهار وتغرب شـمس الهزيمة ويحين موعـد الربيع.**

الذي ألقى بموسى وهو رضيع في البحر، وساقه إلى قصر فرعون، وألقى عليه قلب زوجه، وردَّه إلى أمه من جديد؛ قادر على أن يهدي ولدك، ويُنجح مشروعك، ويقيم فكرتك، ويحقق لك أمانيك، وينصر دينه، ويعلي كلمته، ويبدد فلول الباطل في لحظة.. **فتفاءل.**









لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين

• أُلقي يوسف عليه السلام في الجب، رُمي به في قعر البئر، تخلّى عنه المخلوقين، لا يوجد شيء سوى الظلام وقعر البئر، انتهت قصة الأحلام من أصلها! كل الأماني التي ولدت ماتت في قعر البئر، لم يبق منها شيء حيّاً، مات كل شيء!..

بئر في أرض فلاة، وقعر لا تسمع فيه إلا الخوف والقلق والأوهام؛ فماذا ينتظر غير الموت؟!..

هل كان يوسف عليه السلام يتصوّر أن يخرج من قعر الجب، أن يرى النور الذي فقده، وأن يودّع الليل الذي ألفه، وأن يجد شيئاً يتمسّك به حتى لو كان وهماً؟!..

كل شيء انتهى، ولم يبق سوى الموت، فضلاً أن يتصوّر أنه سيعتلي عرشاً ويدير شأن دولة..

وحين انتهى كل شيء، وتجرَّد قلبه من كل المخلوقين، وصفي لله تعالى؛ بدأت الحكاية: ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا

وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [يوسف: ١٩].

بدأ الحلم يخطو في أرض الغربة، ويمشي في قعر البئر، ويتسلل من ثقب إبرة.

هل تخيلت يوماً أن هذا المنزوع من قعر البئر سيتولى شؤون دولة وإدارة اقتصادها؟!.. ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف: ٩٩ ـ ١٠١].

• **ترفّق بقلبك لا تهلكه بالأحزان، لا تطارده بالأوهام! سيأتي ما عند الله تعالى ولو بعد حين.. سيحين موعد النصر وإن طال الانتظار.**

لا تقلق لمرض ولدك، أو تأخر عافيتك، أو هموم والديك، أو ظروف واقعك، أو تأخر نصر دينك، أو ما يصنعه الباطل.. غداً ستأتي الأحلام، وسيعود الربيع، وتنتهي قصة الصحراء من قلبك وواقعك ومشاعرك وكل شيء.



وتلك الأيام نداولها بين الناس

• في كل مــرة يرى فيهــا الباطلَ يســتوحش قلبُهُ من الطريق، ويبدأ يتفرّس في وجوه العابرين، ويشعر أنها بدأت مرحلة الغربة التــي قال فيهــا النبي ﷺ: «**سَــيَأْتي زمانٌ؛ القابضُ على دِينِهِ كالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ**».

يتوجّس من كل شيء، ويحسب لكل شيء، ويرقب في ذات الوقت كل شيء..

وكلما زادت قــوة الباطل وبدأت صوره تتشــكّل في واقعه، بــدأت تتغيّر بعض قناعاتــه، وتتخلّف بعض صور إيمانه، وتتلاشى صور العزة بدينه، وتتفشّى معالم الغربة في واقعه، وتدرك بعد حين أنه لم يقرأ السُــنَّة الإلٰهية: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].



﴿نُدَاوِلُهَا﴾.. الله تعالى يقول نحن الذين: ﴿نُدَاوِلُهَا﴾.

﴿نُدَاوِلُهَا﴾ أي: نجعلهــا تارة للإســلام وأهله، وتارة للباطل وأهله، بحســب الأســباب التي يصنعها كل فريق، ويكتب حظها كل أنصار!..

أدالها الله تعالى يوم بدر للإسلام وأهله، وتنزلت ملائكة من السماء تدفع بذلك التداول لصالح الإسلام والمسلمين.

وأدالها يوم أُحُد للكفار، وكانــت معصية نزول الرماة حراس الجبل ومخالفتهــم لأمره ﷺ هي أكبر الأســباب وأهمها في تلك الغزوة.

ما تراه من دولة الباطل ليس هو نهاية الطريق، ولا آخر مســافة في أحلامك، قد تكون تلك الدولة التي تراها هي بداية القصة وأول حكايات النصر.

لا تظنن يوماً أن الحق ســيظل ظاهراً فاشياً منتصراً في واقع الأرض، ولا تظنن أن الباطل سيكون كذلك.

المداولــة بينهما هي السُّــنَّة الإلٰهيــة: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾.

• ولعلك تسأل: لِمَ يدل الله تعالى الباطل على الحق؟ لِمَ لا يكون الإسلام هو كل شيء؟!..

لو كان الأمــر كما تقول لما عُرف الإســلام مــن الكفر، والجهاد من القعود، والنصر من الهزيمة: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾..

ثمة حكم كبيرة يريدها الله تعالى في ظل هذه المداولة: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾.. يريــد الله

تعالى ـ وهو أعلم ـ أن يرى أهل الإيمان، والمتخلفين عن حقائقه في عرض الطريق.

يريد الله تعالى أن يرى حُمّال الرسالة وأصحاب الحقائق، وصنّاع العقائد في واقع الحياة، ويريد أن يرى في المقابل الناكصين عن الطريق، والمتثاقلين من أعباء الرسالة، والمتخفّفين من أحمال الوحي!..

حتى الدماء التي تتدفّق، والأرواح التي تفارق الحياة، والنفوس التي تودع الدنيا؛ هي كذلك لا تذهب هباء في سُنَّة المداولة: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾.

لا تقلق حين ترى دولة الكفر أو مجتمع الفسق.. هذا جزء من سُنَّة المداولة، وزمن لتحقيق غايات كبرى في الحياة.

لا تيئس فقد تدفّقت دماء، وزهقت أرواح حمزة ومصعب وكبار في أُحُد، وظل الإسلام قويّاً رغم رحيل الكبار.. ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

لا تجهض مشاعر أفراحك لانتصار باطل، أو مشهد منكر، أو قرار جائر، أو موقف ظلم.. لله تعالى حكمة.

* * *





الفهرس




ميلاد فجر





